إلى أبنائي وبناتي

50 شمعة لإضاءة دروبكم

د. عبدالكريم بكار

دار الإيمان
الإسكندرية



د. عبدالكريم بكار

إلى أبنائي وبناتي

50 شمعة لإضاءة دروبكم

د. عبدالكريم بكار

سلسلة إصدارات
الإسلام اليوم
الإنتاج والنشر

الأصدار
25

الطبعة الاولى 1428



مؤسسة الإسلام اليوم
المملكة العربية السعودية
الرياض
ص.ب. 28577
الرمز : 11447
هاتف: 012081920
فاكس: 012081902
جدة:
هاتف: 026751133
هاتف: 026751144
بريدة:
هاتف: 063826466
فاكس: 063826053
info@islamtoday.net
www.islamtoday.net


بسم الله الرحمن الرحيم

"مقدمة"

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد تعودنا نحن الكتاب أن نوجه الخطاب للكبار من الرجال والنساء آملين أن نساعدهم على توجيه أبنائهم وبناتهم وإرشادهم إلى الطريق القويم. أما الكتابات الموجهة للفتيان والفتيات والشبان والشابات فهي محدودة للغاية؛ ولاسيما تلك التي تحتوي بعض الأفكار العميقة والمعقدة، ولعل ذلك يعود إلى اعتقادنا بأن الكبار هم الذين يشترون الكتب، وهم الذين يهتمون بالتربية والتوجيه. أما الفتيان والمراهقون وكثير من الشباب، فنظن أن مخاطبتهم غير ذات جدوى لانشغالهم بأمور أخرى غير تلك التي تشغل آباءهم وأمهاتهم. ومهما يكن نصيب هذا الاعتقاد من الصحة والصواب، فإني قررت متوكلاً على الله – تعالى- أن أوجه خطابي لمن يعنيهم الأمر مباشرة، وهي محاولة تنطوي على قدر من المخاطرة؛ لأن الكتابة للصغار والفتيان لا يحسنها إلا الكبار من الكتاب، ومع هذا فإني أسعى

إلى أن أستخدم أيسر أسلوب ممكن مع الاحتفاظ بعمق المعاني، وهذا تحدٍ ثانٍ، قبلت بمواجهته ثقة بعوائد الله – تعالى- عليّ.

إن الناظر في هذه الرسالة، سيجد أن الشموع التي أشعلناها موزعة على مجالات عديدة، لكن يجمع بينها استهداف الارتقاء بشخصيات أبنائنا وبناتنا، وتقديم العون لهم على سلوك مسالك الرشاد، والتفوق في الدراسة والعمل وكل مجالات الحياة. ومن المهم أن أشير هنا إلى أن الشموع التي أضأناها شموع تتصف بالعموم، حيث إنها مما يعني الشباب والشابات على حد سواء، وحين يكون هناك شيء خاص بالفتيات أو الفتيان، فإني سأوضحه، لكن هذا سيكون أشبه بالنادر.

شيء آخر أحب أن أوضحه هو أن الشريحة المستهدفة والموجه إليها الخطاب هم طلاب المرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية، ولا يعني هذا أن غيرهم لن يستفيد مما قلته، حيث إني أعتقد أن النابهين من طلاب المرحلة المتوسطة يمكنهم استيعاب الكثير مما ذكرناه، كما أن خريجي الجامعات سيجدون في بعضه ما هو جديد ومفيد.

وإني لأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم الدين، كما أسأله أن ينفع به أبنائي الأعزاء وبناتي العزيزات، إنه سميع مجيب.

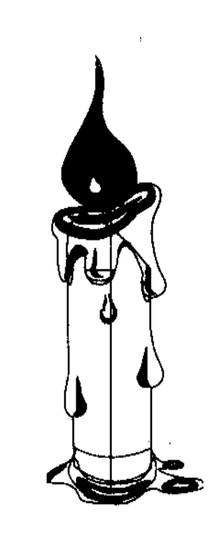
د. عبد الكريم بكار

الرياض في 8241/4/21هـ

الشمعة

1

"الدخول على قاعة مظلمة"



حين يولد الواحد منا، ويبدأ بالتعرف على من حوله، ثم يخرج إلى الشارع والمدرسة، فتتسع دوائر معرفته، وتزداد خبراته، وبالتالي فإنه يكون أشبه بمن دخل على قاعة كبيرة مظلمة، ومملوءة بالأشياء المبعثرة والصناديق المقفلة والآلات المعقدة.... إنه يجد نفسه خالي الذهن من أي معرفة سابقة حول كل ما يراه. كما قال - سبحانه - : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا ﴾ [1].إنه يشعر أن لديه ألوف الأسئلة التي لا يملك لها أي جواب. ومن خلال العيش الطويل في تلك القاعة يتعرف على الأشياء البسيطة، ثم تمتد يده ليفتح بعض الصناديق، ويقلّب بعض الآلات... ومن خلال الاحتكاك بالناس واستخدام الأشياء يكتشف الكثير مما حوله، لكنه يشعر بعد طول الإقامة والمعايشة أن هناك

١.سورة النحل: ٧٨

أشياء كثيرة، لا يعرف عنها أي شيء، هكذا نحن يا بناتي وأبنائي نحاول اكتشاف أنفسنا واكتشاف الناس من حولنا، كما نحاول فهم سنن الوجود وفهم واجباتنا والتحديات التي تواجهنا، لكن سنخرج أيضاً من هذه الدنيا ولدينا أمور كثيرة غامضة وأسئلة حائرة، كما قال -عز وجل-: ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ [1] ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟

إنه يعني الآتي:

1- الأصل في الإنسان أن يكون جاهلاً إلا إذا تعلم.

2- علينا أن نتواضع، وحبذا أن يكون تواضعنا على قدر جهلنا.

3- نحن على قدر ما نعرف وما نتقن، وكلما زاد ما نعرفه، وما نتقنه ارتفعت منزلتنا، وتحققت أهدافنا.

4- ما دمنا لا نعرف كل شيء، ولم نحط بكل شيء، فإن علينا ألّا نصدر أحكامنا على الأحداث حتى تنتهي.

5- هناك أمور كثيرة ستكون معرفتنا بها جزئية أو سطحية، ونحتاج إلى التعمق فيها، وهذا لا يكون إلا من خلال امتلاكنا لعقل مفتوح وروح متعطش إلى المعرفة.

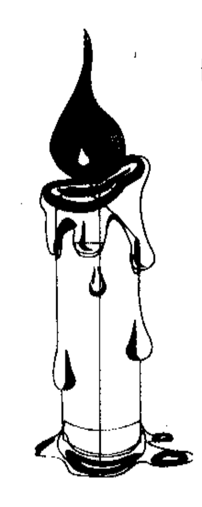
■■■■

١. سورة الإسراء: ٨٥

الشمعة

2

"حاولوا أن تنجحوا في الامتحان الأكبر"



نحن هنا في هذه الحياة في معهد مهني من نوع غريب، حيث إن الواحد منا لا يتعلم، ويدرس، ثم يدخل الاختبار، لكنه يدرس ويختبر في آن واحد. وليس الغريب استمرار الاختبار طوال الحياة فحسب، لكن الغريب أيضاً تنوع أساليب الاختبار، فهذا ممتحن بذكائه وهذا بغبائه، وهذا ممتحن بفقره، وذاك بثرائه، وهذا بصحته، وذاك بمرضه، وهذا بشهرته، وذاك بخموله... امتحانات عجيبة وفريدة، ونتائجها مصيرية بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، فحين نرحل عن هذه الحياة نكون قد أدينا الامتحان الأخير الحاسم، وهنيئاً لمن أجاب على أسئلته بصورة صحيحة، والويل والهلاك لمن أجاب عليها بصورة خاطئة. يقول الله -عز وجل- في توضيح هذه الحقيقة: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾ [1].

١.سورة الملك: ٢

وقال سبحانه: ﴿فمن زحزح عن النار، وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾[١]

المشكل الأكبر في هذا الموضوع، هو أننا لا نعرف متى ينتهي وقت الاختبار، ويسحب المراقبون أوراق الإجابة. كم أخطأ الناس يا أبنائي وبناتي في توقعاتهم لمدة الاختبار؟ وكم من الناس أطلقوا الصيحات والرجاءات من أجل تمديد مدة الامتحان نصف ساعة، حتى يتوبوا ويرجعوا، فلم يجابوا، ولم يُلتفت إليهم: ﴿فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ [٢]. وقال - سبحانه-: ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ [٣] ماذا يعني كل هذا بالنسبة إلى بناتي وأبنائي؟

إنه يعني الآتي:

1- علينا أن نوسع دائرة إحساسنا بتصرفاتنا وأعمالنا لتكون دائماً تحت المراقبة، ولنؤديها كما يحب الله؛ تعالى.

2- إذا وقع الواحد منا في خطأ أو زلة، فإن المطلوب منه هو المسارعة إلى التوبة، وإلى التصحيح قبل أن يلقى الله – تعالى- وهو في حال سيئة.

3- يجب علينا أن نوطنَّ أنفسنا على مجاهدة النفس وكبح الشهوة على نحو دائم.

4- من المهم أن نبتعد عن أولئك المستخفين بالاختبار والغافلين عنه، حتى لا ننجرف معهم، فنخسر خسارة عظمى يصعب تحديدها الآن.



١.سورة آل عمران: ١٨٥

٢.سورة الأعراف: ٩٥

٣.سورة الأعراف: ٣٤

الشمعة

3

"متساوون عند الولادة متفاوتون عند الموت"

إنه لشيء لافت ذلك التباين الكبير بين ما نكون عليه عند الولادة، وبين ما نكون عليه عند الموت، المواليد كلهم أطفال من درجة واحدة، حيث يمكن أن نتوقع لكل واحد منهم أن يكون في المستقبل واحداً من العظماء، وأن يكون متخلفاً ذهنياً أو مجرماً أو منحرفاً .... لكن هذه الإمكانيات تتلاشى مع الأيام ليصبح المجهول معلوماً، ولتتجه الأنظار والتوقعات العظيمة إلى أناس دون آخرين، رجال ونساء يغادرون هذه الحياة وهم أعلام، تعلقت بهم القلوب، ونطقت بالثناء عليهم الألسن.... وما ذلك إلا لأنهم في حياتهم لم يكونوا أشخاصاً عاديين، وإنما كانوا دعاة أو فقهاء أو حكماء أو قادة، أو باذلين للمعروف ساعين في الخير ... إن الذي غادر هذه الحياة هو أضعف شيء فيهم، وهو (الجسد) أما عقولهم وأرواحهم وأمجادهم ومآثرهم والسنن الحسنة التي سنوها، والأيادي البيضاء التي أسدوها

للناس، فإنها باقية في النفوس والقلوب ليعبر عنها أهل الوفاء بالثناء والدعاء قروناً بعد قرون، ولتتخذ منها الأجيال بعد الأجيال نبراساً للتأسي والاقتداء.

إن تسلْ أين قبور العظما

فعلى الأفواه أو في الأنفس

وإن ما ينتظرهم من كرامة الله – تعالى- في الآخرة هو أعظم بكثير مما نالوه في هذه الدنيا الفانية، لكن ذلك يشكل عاجل البشري، ومقدم الجزاء، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: " إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض" [1]

هذه هي القلة القليلة من الصفوة المختارة من عباد الله، أما السواد الأعظم من الناس فإنهم –مهما عاشوا- يمرون على هذه الحياة مروراً سريعاً، وهم ما بين شخص يترك شيئاً يندم عليه، وشخص لا يترك أي شيء! ولا تمر سنوات قليلة حتى ينساهم الصديق والقريب....

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟

إنه يعني الآتي:

1- إن الذي يصنع الفرق بين الناس عند الموت ليس النسب ولا المال ولا القوة، لكنه الاستقامة والعلم والأثر النافع وحب الخير للناس والمساهمة في إصلاح الأوضاع والأحوال....

2- في إمكان كل واحد منكم أن يسير في طريق العظماء من خلال الجهد اليومي

١.متفق عليه

الذي يبذله في المجال الصحيح وبالطريقة الصحيحة.

3- لا يحتقر الواحد منكم نفسه، ولا يرضَ بالقليل، فالكريم الجواد الغني الحميد هو رب الأولين والآخرين، وقد يمنح للمتأخر شيئاً حجبه عن المتقدم.

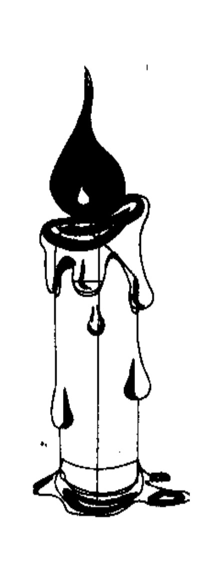
تذكروا دائماً ساعة الرحيل، وخططوا دائماً لأن يكون ما يقال عنكم فيها شيئاً عظيماً، ترجون ثوابه عند الله؛ تعالى.

■■■■

الشمعة

4

"لا تحركوا صخرة في سفح جبل"



أكثر ما يقلقكم معاشر الشبان والفتيات، هو تلك الغريزة الجنسية التي ركبها الله – تعالى– في النفس البشرية بغية استمرار النوع الإنساني. وأنا لا أريد الخوض الواسع في هذه المسألة، لكن أحب أن أحذر بقوة وبشدة من ارتكاب الأخطاء في التعامل مع هذه الطاقة الكامنة، والتي هي أشبه بـ (البنزين)، حيث إنه يظل طاقة نافعة ما دمنا نستخدمه بالطريقة الصحيحة، فإذا قربناه من النار تحول إلى قوة مدمرة، قد تحرق حياً بأكمله!. أحد الحكماء شبه الطاقة الجنسية بصخرة عظيمة في سفح جبل شاهق، فإنها قد تمكث قروناً على تلك الحال، فإذا جاء من يحركها، فإنها قد تتدحرج، وإذا تدحرجت، فلن تستطيع أي قوة بشرية إيقافها. إن الذي يحرك الشهوة لدى الفتيان والفتيات محصور في عدد من الأمور، من أهمها:

- التفكير في أمر الجنس واستخدام الخيال في ذلك، ولهذا فإن الفراغ والتمحور

حول الذات من الأسباب القوية لتحريك الغريزة الجنسية.

■ مشاهدة المناظر الفاضحة ونظر الرجال إلى النساء والنساء إلى الرجال، وكذلك الاختلاط بين الجنسين.

■ حضور المجالس التي تثار فيها المسائل الجنسية.

■ مصاحبة بعض التافهين والمنحرفين والمنحرفات الذين ليس لديهم همة نحو أي شيء سام أو مهم.

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟

إنه يعني الآتي:

1- ليشتغل كل واحد منكم بشيء نافع ومفيد، وليحاول استهلاك طاقته فيه، وإن الرياضة ممّا يستهلك الطاقة الجسمية، وينفع في تخفيف الضغط الغريزي.

2- الزواج المبكر فضيلة عظمى لمن قدر عليه، وهو حصن حصين –بإذن الله- وإن على الشباب والشابات التخطيط له بجدية، كما أن على المجتمع أن يُيسر أسبابه.

3- تعزيز الجانب الروحي لدى كل واحد منكم، يعد شيئاً أساسياً في هذا الشأن، فقد أوصى ﷺ الشباب بالصيام كما هو معروف، وإن المواجهة الرئيسية للتيار الشهواني الجارف يجب أن تتم بإنشاء تيار روحي قوي وشامل وملتزم بآداب الشريعة.

4- صحبة الصالحين والأخيار أهل القلوب النقية والهمم العالية.

5- الابتعاد عن المجالس والأماكن التي يُتَحدّث فيها عن الجنس.

6- غض البصر والبعد عن الاختلاط بالجنس الآخر على قدر الوسع والطاقة.

7- ليفكر كل واحد منكم مئة مرة قبل أن يخطو خطوة خاطئة، تترك في حياته أسوأ الآثار، وفي نفسه أسوأ الذكريات.

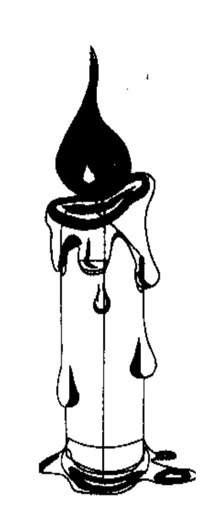
والله يتولانا وإياكم.

■■■■

الشمعة

5

"كن أنت نفسك"



لو استطعتم معرفة مشاعر الناس حول أوضاعهم المعيشية والاجتماعية، لوجدتم أن أكثرهم يتطلعون إلى أن يكونوا في وضعية أفضل ممّا هم فيه، وهذا يعود إلى ما فطر الله – تعالى- عليه النفوس من حب الخير والاستزادة من النعيم.

هناك يا أبنائي وبناتي من هو ليس راضياً عن القرية التي ولد فيها، وكان يتمنى لو ولد في مدينة كبرى، وهناك من يتمنى لو كان أبوه ثرياً، فينشأ في أسرة مرفهة، وهناك أعداد كبيرة من البنات المتضايقات من أشكالهن وألوانهن، وهناك وهناك.... الرسالة التي أود أن يلتقطها أولادي هي أن الإمكانيات التي زودنا بها الخالق –جل وعلا- والظروف والأوضاع التي نشأنا فيها لاتتحكم في مستقبلنا على نحو كلي، فأنتم جميعاً تعرفون أن هناك آلاف الشباب والشابات الذين ولدوا في أحسن الظروف، وكان يتوقع لهم أن

يكونوا اليوم من خيار الناس ومن أعظمهم نجاحاً وفلاحاً وسعادة، لكن شيئاً من ذلك لم يحدث، فهم مخفقون في دراستهم وأعمالهم وحياتهم الخاصة، ويحيون على هامش الحياة، ولا يتمنى أحد منا لأولاده أن يكونوا مثلهم! وفي المقابل أيها الأعزاء والعزيزات هناك رجال عظام غيَّروا مجرى التاريخ، ونقشوا أسماءهم بأحرف من نور على صفحاته مع أنهم ولدوا في أُسرٍ لا يعرف عنها عراقة في نسب، وليس لديهم وفرة في مال، ولا تسكن في أماكن مميزة... التاريخ والواقع يقولان لنا هذا، وعلينا أن نستخلص العبرة منه.

ورحم الله ابن الوردي حين قال:

لا تقل: أصلي وفصلي أبداً
إنما أصل الفتى ما قد حصل
قد يسود المرء من غير أبٍ
وبحسن السبك قد يُنفى الدغل

وفي تاريخنا وتاريخ العالم رجال ونساء كُثر يفتخر آباؤهم وأمهاتهم بإنجابهم لهم.

وكم أبٍ علا بابنٍ ذرى شرف
كما علا برسول الله عدنانُ

ماذا يعني هذا بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟

إنه يعنى الآتي:

1- احمد الله على ما وهبك وأعطاك، فهو كثير، وإن كان يبدو لك عند المقارنة مع ما لدى غيرك أنه قليل.

قـلـيـل مـنــك يـكـفـيـنـي ولـكـن

قـلـيـلـك لا يـقــال لــه قـلـيـل

2- تقبَّل نفسك وأوضاعك، واشعر بالاعتزاز بما لديك، واتخذ منه نقطة انطلاق إلى الأمام.

3- أبعد نفسك الصغيرة المكبلة بالأوهام وبهموم الحاضر، عن طريق نفسك الكبيرة القادمة من قلب العاصفة التي تثيرها الجدية والثقة والعمل والمثابرة والطموحات العالية.

4- انفخ على أصغر شرارة لديك لتتحول إلى نور عظيم يضيء طريقك وطريق أهلك وزملائك.

5- لا ترض أبداً أن تكون ظلاً لأحد، وحاول دائماً أن تكون قدوة ونموذجاً ينتفع بك غيرك.

■■■■

الشمعة

6

"أنتم في نهاية الأمر ما تعتقدونه"



يأتي الواحد منا إلى هذه الحياة وهو جاهل بكل شيء، ويبدأ برحلة الاستكشاف العظيم في السنة الأولى من عمره. الأهل والمعلمون والأقرباء والأصدقاء يساعدوننا على فهم الوجود من خلال العقائد والأفكار والآداب التي نتلقفها منهم. ونحن أيضاً من جهتنا نلتقط الكثير من الانطباعات من خلال تجاربنا الخاصة. المهم في هذا كله هو الرؤية التي تتشكل لدى كل واحد منا عن إمكاناته وأوضاعه وعن القيم والمبادئ التي يؤمن بها، وعن المراتب والأهداف التي يسعى إليها. وقد زودنا الخالق -عز وجل- بقدرات هائلة، وأتاح لنا فرصاً كثيرة، لكن الملاحظ أن الشباب والشابات الذين يتفوقون في الاستقامة والدراسة والعمل على نحو باهر قليلون جداً، وهذا يعود إلى عدد من العوامل، أهمها المفاهيم والمعتقدات التي يسترشدون بها في مسيرتهم وحركتهم اليومية. هناك من أبنائي وبناتي من ينظرون إلى العالم

بمنظار أسود، فلا يرون إلا الشرور والمفاسد، ويعتقدون أن ما هو أسوأ متوقع دائماً. ومنهم من نشأ في أسر يغلب عليها الجهل، وحظها من الاستقامة قليل، فلم ينالوا التربية الجيدة التي يستحقونها، ولا تلقوا الإرشاد والتحفيز والعون الذي يحتاجون إليه، فصاروا ينظرون إلى أنفسهم نظرة استخفاف واستصغار، وصار اهتمامهم بالفضائل ضعيفاً. ومنهم من نشأوا في أسر يغلب عليها الفقر وشظف العيش، فلم تنبت في قلوبهم الطموحات الكبيرة وحب الإنجاز العالي، فصاروا يرضون بالقليل من كل شيء، ويستكثرون على أنفسهم أي شيء، وجل همهم الحصول على ما يسد الرمق.

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى بناتي وأبنائي؟

إنه يعني الآتي:

1- ليراجع كل واحد منكم مكونات رؤيته للحياة، حيث إن من المؤكد أن بعضها غير صحيح.

2- غلّبوا جانب التفاؤل والثقة بالله – تعالى- والاعتداد بالنفس على اليأس والإحباط واحتقار الذات.

3- الدنيا فيها الكثير من الأخيار والكثير من الأشـرار، ومن يبحث عن الأخيار يجدهم.

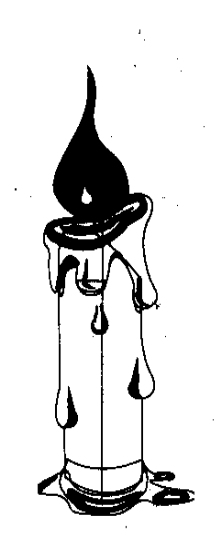
4- هناك دائماً فرصة للتحسن ومجال للازدهار بشرط ألّا نصغي للمثبطين واليائسين والمخفقين.

5- كونوا أنصار الفضائل وحماة المبادئ، حتى يصبح لحياتكم معنى وقيمة، وإذا فعلتم ذلك فأنتم مظفرون دائماً، فإن فاتتكم لذة الغلبة لم يفتكم شرف المعركة.

الشمعة

7

"وليس الذكر كالأنثى"



لا أريد هنا أن أتحدث عن الأمور التي تجعل من الرجل والمرأة كائنين مختلفين في الكثير من الأمور، إنما أود أن أشير إلى شيء مهم، هو أن الاختلاف في الطبيعة والتركيب، يترتب عليه اختلاف في الوظيفة، إن التركيب الجسمي والنفسي والشعوري للفتاة مختلف عن التركيب الجسمي للفتى، ولهذا فإنك يا ابنتي قد أعددت لتقومي بدور مختلف عن أخيك.

إن الفتاة تحمل وتلد، وتُعد المسؤول الأول عن تنشئة الأجيال، وما يثير اهتمامها، ويستولي على مشاعرها ليس هو الذي يستولي على مشاعر الفتى، وإن في تعاليم ديننا وفيما اتفق عليه الناس من أعراف وتقاليد ما يجعل المطلوب من المرأة مغايراً لما هو مطلوب من الرجل على الصعيد الاجتماعي وعلى صعيد العمل والوظيفة. بعبارة أخرى تحتاج الفتاة إلى أن تكون طموحاتها في المستقبل طموحات امرأة وليست طموحات رجل؛ وهذا يعني



أن على الفتاة أن يكون هدفها الأول هو الإسهام في بناء أسرة ملتزمة وسعيدة ومترابطة، وعليها أن تعد نفسها ثقافياً وتربوياً لهذه المهمة الجليلة. هذه واحدة. أما الثانية، فهي أن تكون دراستها في الجامعة ملائمة لما ذكرناه، وذلك بأن يكون التخصص الذي تدرسه مما تحتاجه بنات جنسها مثل التعليم والتطبيب، أو يكون العمل في مجاله بعد التخرج لائقاً بربة منزل، ومن هنا فليس من الملائم لفتاة أن تدرس الهندسة المدنية أو الميكانيكية أو الكهربائية، كما أنه ليس من الملائم لها أن تدرس الطب البيطري أو الزراعة .. وعلى نحو عام فإن نصيحتي العامة لبناتي هي أن يسعين لدراسة علوم يمكن لهن الاستفادة منها ثقافياً وتربوياً ومادياً ولو لم تسمح لهن واجباتهن الأسرية بالالتحاق بوظيفة.

وأنا أقول لك يا ابنتي: احذري الطموحات التي تجعل فرصتك في الزواج ضئيلة حتى لا تندمي حيث لا ينفع الندم.

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى بناتي؟ إنه يعني الآتي:

1- لا تحاولي الدخول في منافسة مع الشباب، فأنت مخلوقة لدور غير دورهم، وعليك أن تأخذي الدرس والعبرة من الوضع المأساوي الذي صارت إليه المرأة في كثير من بلاد الغرب والشرق.

2- في حياتنا معطيات كثيرة، توجب عليك أن يكون اهتمامك بالزواج وببناء أسرة مسلمة وتربية أولادك التربية الصحيحة، هو الاهتمام الأول.

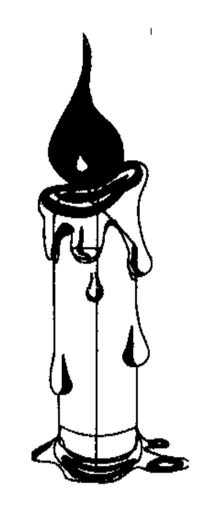
3- الأنوثة هي السلاح الأمضى الذي تحارب به المرأة، فلا تتخلى عن هذا السلاح بأوضاع وأعمال وتصرفات غير ملائمة لك.

4- ليس الألق الاجتماعي للتخصص أو الوظيفة هو المهم، لكن المهم هو ملاءمته لك ومدى إتقانك له أو لها.

الشمعة

8

"ابحثوا عن النجاح الحقيقي"



هذه شمعة متوهجة أرجو أن تفتحوا عيونكم جيداً عليها، حيث إننا يا أبنائي وبناتي في زمان فتن الناس فيه بكل ما يشير إلى الفوز والنجاح والغلبة والمكاسب الكبيرة .... لاشك في أن أمة الإسلام في حاجة ماسة إلى أكبر عدد ممكن من المتفوقين والناجحين وأهل الطموحات العظيمة، وذلك بسبب ما تعانيه من ضعف على المستوى العلمي والصناعي والمادي، وهذه الحاجة ملحة؛ لأننا ببساطة، لا نستطيع بناء أمة قوية من أشخاص ضعفاء، لكن من المهم أيها الأعزاء والعزيزات أن تتذكروا شيئاً مهماً، هو أن الإسلام يدقق في الأسلوب الموصل إلى الأهداف الكبيرة مثل تدقيقه في الأهداف نفسها، ولهذا فإن للنجاح الحقيقي الذي ينبغي علينا جميعاً أن نسعى إليه سمتين أساسيتين:

الأولى: أن يتم بطريقة مشروعة ونظامية.

الثانية: أن يقرّب صاحبه من الله – تعالى- أي أن يحفز النجاح الدنيوي صاحبه على البذل في سبيل الله وخدمة الناس والمشاركة في بناء المرافق العامة والنهوض بالأوطان .... إذا استطاع الواحد منكم أن يحقق نجاحاً في مجال من المجالات، لكن ثمرات ذلك النجاح، اُستهلِكت في المتعة الشخصية وفي التوسع في المباحات وزيادة الرفاهية، فإن ذلك النجاح في نظري لا يكون نجاحاً حقيقياً، وإنما هو نجاح مؤقت ومحدود، ما دامت حياتنا محدودة وقدراتنا على الاستمتاع بها أيضاً محدودة، فإن كل النجاحات الدنيوية، هي في النهاية محدودة وعابرة.

هناك يا أولادي نوع ثالث من النجاح، وتسميته نجاحاً هي تسمية مجازية، وذلك النوع هو النجاح الذي يتم عن طريق الكذب والاحتيال والرشوة والغصب وهضم حقوق الآخرين والخروج على النظم والقوانين السارية .... هذا النجاح عبارة عن نجاح وهمي، وهو وبال على صاحبه، وينبغي أن ننظر إلى الناجحين على هذا النحو نظرة إشفاق ورحمة؛ لأنهم مساكين، وما يظنونه نجاحاً هو عبارة عن نكبة حلت بهم.

ماذا يعني هذا بالنسبة إلى بناتي وأبنائي؟

إنه يعني الآتي:

1-الحرص على أي قدر من النجاح والتفوّق؛ لأن ذلك ضروري لراحتكم وسعادتكم وسعادة أهلكم وخير بلدكم.

2- لا تجعلوا الهمَّ الأكبر الذي يسيطر عليكم هو الحصول على شهادة أو وظيفة أو امتلاك أشياء نفيسة فحسب، ولكن فكروا في كيفية توظيف ما تحصلون عليه من ذلك في أمور تزيد رصيدكم من الحسنات.

3- اجعلوا مشروعية ما تريدون الحصول عليه هي الشرط الذي لا يقبل التفاوض والمساومة.

4- استعينوا بالله -تعالى- واطلبوا التوفيق والرعاية في كل ما تسعون إليه، وتذكروا قول القائل:

إذا لم يكن عـون مـن الله للفتى

فـأول مـا يقضي عليه اجتـهاده،

■■■■

الشمعة

9

"اعملوا أن تكونوا دائماً جزءاً من الحل"

تعرفون أبنائي وبناتي أن هذه الدنيا هي دار الأزمات والمشكلات؛ إذ ليس هناك أسرة ولا مؤسسة ولا مدرسة، لاتعاني من بعض الصعوبات، وتلك الصعوبات، منها ما هو موجود بسبب طبيعة العمل وطبيعة العيش والظروف التي نمر بها، ومنها ما هو بسبب ما لدى البشر من قصور وأخطاء ورعونات.... ونحن جميعاً نعرف أن في كل مكان عدداً من الناس الطيبين الذين يحاولون إصلاح ما أفسده غيرهم، وحمل بعض الأعباء عن أهلهم ومجتمعهم وبلادهم، وهذه القلة القليلة هي ملح المجتمع وهي عطره ونوره، إنهم يعرفون مشكلات مجتمعهم وجماعتهم، ويعتقدون أنهم ليسوا جزءاً منها، ولذلك فإنهم يسعون إلى حلها، وهذه بعض الأمثلة التي تشرح ذلك:

■ حي من الأحياء جلّ أهله معرضون عن صلاة الجماعة، وهذه مشكلة ليست



بالصغيرة، فيقوم رواد المسجد بحضهم على الصلاة فيه، ويتابعونهم على ذلك إلى أن تتغير هذه الوضعية، فهؤلاء بعملهم المبارك هذا أصبحوا جزءاً من حل المشكلة.

■ أسرة تعيش في ضنك من العيش بسبب بطالة عدد من أفرادها عن العمل، وهذه مشكلة اقتصادية، فإذا قام واحد منهم بالبحث عن عمل، فإنه يكون قد سار في طريق الحل، وصار جزءاً منه.

■ فصل دراسي مستواه ضعيف بسبب الفوضى التي فيه؛ وبسبب ضعف رغبة الطلاب في التعلم، قام بعض طلابه بمساعدة المعلم على ضبطه وتنظيمه، فأصبحوا بذلك جزءاً من الحل لمشكلة ذلك الفصل.

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟

إنه يعني الآتي:

1- شرف عظيم للواحد منا أن يكون مظنة للإصلاح، وأن يكون وجوده في أي بيئة بشير خير.

2- لا يكون المرء جزءاً من الحل إلا إذا كان أرقى من المحيطين به، فليعمل كل واحد منا على ذلك.

3- لا تستسلموا لوسوسة الشيطان لكم بعدم الكفاءة وعدم القدرة على الإصلاح، وظنوا بأنفسكم في هذا المجال خيراً، واستعينوا بالله.

4- تأكدوا دائماً أنكم جزء من الحل، ولستم جزءاً من المشكلة.

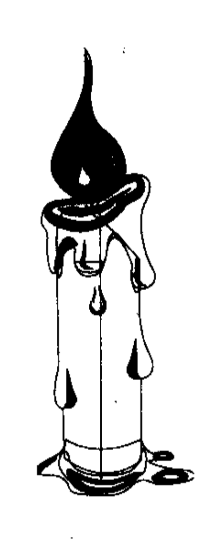
5- إذا لم تكونوا جزءاً من الحل، فأنتم في الغالب جزء من المشكلة.

6- سارعوا إلى حل المشكلات قبل أن تتفاقم وتخرج عن السيطرة.

الشمعة

10

"هل ترغبون في معرفة نفوسكم؟"



سيقول لي بعض أبنائي وبناتي: ما هذا السؤال؟ وهل هناك من لا يرغب في معرفة نفسه؟ نعم نحن جميعاً نحب أن نكتشف، ونعرف كل ما يمكننا معرفته.

إذا صح هذا فهو جميل. لدي مقياس سهل الاستخدام، يمكن كل واحد منكم أن يعرف من خلاله وضعيته العامة، هذا المقياس هو، نوعية ما تلومك نفسك عليك.

قد أقسم الله – تعالى- بالنفس اللوامة، فقال: ﴿لا أقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾[1] المؤمن تعاتبه نفسه وتلومه، والفاجر عتاب نفسه له قليل، وهو ماضٍ في انحرافاته غير مكترث بشيء، وكلما ارتقى العبد في مدارج الفلاح والصلاح ارتقت نوعية لوم نفسه له، ونوعية عتبها عليه. هناك من لا تلومه نفسه، ولو مضى عليه شهر دون أن يركع لله –تعالى- ركعة! وهناك من تلومه نفسه إن

١.سورة القيامة: ١، ٢

فاتته صلاة فريضة من الفرائض، ومن تلومه نفسه إذا فاتته تكبيرة الإحرام خلف الإمـام ... هناك من لا تلومه نفسه على التفريط في القراءة ، ولو مضى عليه سنة دون أن يفتح كتاباً! وهناك من تلومه نفسه إذا لم يقرأ كل يوم أربع ساعات. وهناك من تلومه نفسه إذا تأخر عشر دقائق عن وقت التحاقه بعمله، ومن يغيب اليوم تلو اليوم دون عذر مقبول، ودون أن يلقى من نفسه أي لوم .... وهكذا على مقدار حيوية ضمائرنا وعلى مقدار سمو منازلنا ومراتبنا تكون شدة تقريع نفوسنا لنا، وترتقي نوعية العتاب الذي يجلجل في أعماقنا.

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى بناتي وأبنائي؟

إنه يعني الآتي:

1- أصغوا جيداً إلى الصوت النوراني المنبعث في أعماقكم والذي يؤنبكم على التقصير والتفريط.

2- اسألوا أنفسكم: هل نوعية العتاب الموجه إليكم في داخلكم آخذة في الارتقاء والتسامي، أو أنها آخذة في الانحطاط والتدهور؟ واتخذوا من الجواب معياراً تتحاكمون إليه.

3- راجعوا تصرفاتكم ومواقفكم، وحاولوا تقويمها وبلورة آرائكم فيها.

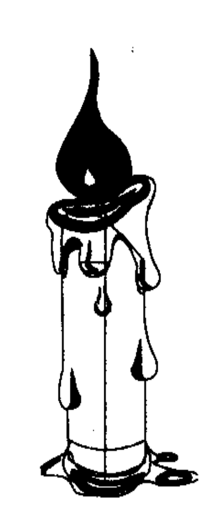
4- دعّموا قدراتكم على الإحساس بالذنب والتقصير، وحاولوا غسل السيئات بالحسنات.



الشمعة

11

"احذري يا ابنتي !"



في الماضي كانت العزلة هي الحصن الذي يحتمي به كل الضعفاء وكل الخائفين من الذئاب البشرية الضارية. أما اليوم وبعد وجود مئات القنوات الفضائية المختلفة وبعد دخول الإنترنت إلى كل بيت، فقد صار الحديث عن العزلة شيئاً من الماضي. أنا أعرف أن الهاجس الذي يسكن قلوب معظم الفتيات هو الارتباط بشاب مستقيم يُقدِّر الحياة الزوجية، ويرعى أسرته، ويسعدها، وإن الفتاة في سبيل تحقيق ذلك قد تخاطر بالرد على معاكسة من شاب أو بالدخول إلى إحدى غرف (الدردشة) على الإنترنت، أو تتبادل بعض النظرات مع ابن الجيران .... وأؤكد أنها في كل ذلك لا تهدف إلا إلى العثور على من يمكن أن يكون شريك الحياة وأباً للأولاد في المستقبل.

والشباب بكل أطيافهم يعرفون هذه الحقيقة جيداً، فالصالحون الأخيار منهم



يسلكون المسلك الشرعي المهذب إلى ذلك، ويتقدمون إلى أهل من يريد الواحد منهم الارتباط بها. أما الآخرون، وهم ليسوا قليلين فيضربون على الوتر الحساس بالنسبة إلى الفتاة، ويقدمون البرهان تلو البرهان على أنهم يريدون لأي علاقة أن تنتهي بالزواج، وما يجري قبله فترة للتعارف والتأكد من العثور على الشريك المناسب .... وأكثرهم كاذب في ذلك، وإن كان صادقاً فأسلوب اتصاله بالفتاة يدل على أنه شخص غير صالح. وأنت يا ابنتي انطلاقاً من طيبة قلبك وبراءة مطلبك وضعف خبرتك بواقع كثير من الشباب قد تجدين نفسك في ورطة كبرى لا تعرفين كيف تخرجين منها! قد يلتقي الشاب بفتاة في مكان عام، ويلتقط لها صورة بطريقة خفية، وقد يسجل لها كلاماً، وبعد مدة يستخدم ذلك أداة لتخويفها وتهديدها، وتجد نفسها كالماشي في حقل ألغام، فهو محفوف بالمخاطر أينما اتجه. وبعض الفتيات تغمرها الغفلة، وفي لحظة ضعف يفترسها أحد الوحوش، وهو يعدها بالزواج، ثم تنقطع أخباره، وتجد نفسها جليسة الهموم والأحزان، وقد يحدث حمل، فتكون الجناية جنايتين: جناية على نفسها وجناية على ولدها الذي سيحيا من غير أب ولا نسب!!.

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى ابنتي؟

إنه يعني الآتي:

1- كوني على يقين بأن ما كتبه الله لك سوف تحصلين عليه مهما كنت ضعيفة أو بعيدة أو منعزلة.

2- إن الله – تعالى- هو الذي يرزق المرأة بالزوج الصالح، ويرزق الرجل بالمرأة الصالحة، فاطلبي ذلك منه بصدق، واعلمي أن ما عند الله – تعالى- إنما ينال

بطاعته، وليس بمعصيته.

3- لا يرى الشاب في الفتاة التي تستجيب لرغباته المرأة التي تصلح أن تكون زوجة له وأماً لأولاده.

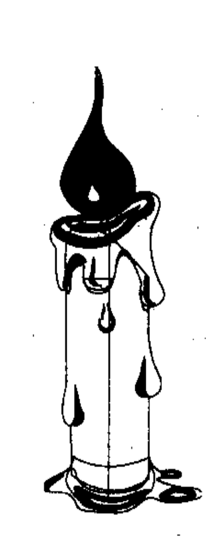
4- راقبي الله – تعالى- وأكثري من ذكره، واستعيني به واجعلي روحك تمرح في حبه والتعلق به، ففي هذا سعادة ومسرة، لا تشبهها مسرة أخرى. لا تبحثي عن أكبر لذة، ولكن عن أشرف لذة.

■■■■

الشمعة

12

"كونوا من الشاكرين"



لا أجد تعبيراً عن عظمة النعم التي تغمر كل واحد منا أبين وأبلغ من قول الله تعالى-: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم﴾[1] . هذا الزمان يا بناتي وأبنائي هو زمان الشكوى من سوء الأحوال، وذلك بسبب تعاظم طموحات الناس وبسبب بعد الفجوة بين إمكاناتهم، وما يرغبون في الحصول عليه. لا تتساقوا مع التيار، وعودوا إلى الأصول، وتذكروا دائماً أنه مهما ساءت الأحوال، وتتابعت الكروب، فإننا سنجد شيئاً، يستوجب شكر الله – تعالى- : نعمة الإيمان ونعمة السمع والبصر ووجود الأهل والأقرباء والأصدقاء ونعمة أننا موجودون الآن، حيث نجد الفرصة للتوبة إن كنا مخطئين، والازدياد من الخير إن كنا صالحين. انظروا إلى الشكر على أنه شيء تتقربون به إلى الله – تعالى- بل إن توفيق الله – تعالى- للعبد للنطق بالشكر هو نعمة

١.سورة النحل: ١٨

تستوجب شكراً آخر. وانظروا إلى الشكر على أنه مصدر للسرور والرضا والطمأنينة والسعادة، وهذا ما يمكن أن يشير إليه قوله – سبحانه -: ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾[1] . نحن نعرف أن كثيراً من الناس لا يملّون من الشكوى، ولا يملون من الكلام على الآخرين، وتشعر حين تجلس معهم، وكأنهم لم يشبعوا من أي شيء، كما تشعر أنهم غير راضين عن أي شيء!! وهذا يشكل مصدراً لآلام نفسية لا تنتهي، إنهم يشعرون بالضيق والأسى من غير وجود أسباب مقبولة.

اتخذوا يا أبنائي وبناتي من الحمد والشكر والثناء على الله – تعالى- مصدراً لحماية النفس من التآكل الداخلي ومناسبة لإظهار النبل والعرفان بالجميل لمن أحسن إليكم.

إذا سئل الواحد منكم عن حاله وصحته .... فليقل: أنا غارق في نعم الله، وليقل: أنا في أفضل حال، وليقل: أسأل الله أن يديم فضله، ويزيدنا من نعمائه.

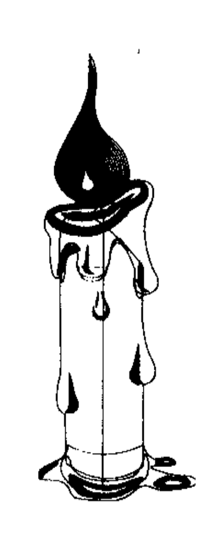
الشكر يا أولادي يكون بالقلب من خلال الشعور العميق بالامتنان لمن أنعم علينا، ولمن ساعدنا، ووقف إلى جانبنا. والشكر يكون باللسان من خلال الثناء والمديح والتعبير بالكلام اللطيف والجميل، وهنا أقول لبعض بناتي وأبنائي:تعودوا فتح أفواهكم بالثناء على من أسدى إليكم معروفاً، وليكن ذلك مصحوباً بالمشاعر الفياضة والصدق العميق. والشكر يكون باليد والبذل والسعي، وإن لكل نعمة شكراً يناسبها، ولا يليق بها غيره، وعلينا أن نتعلم ذلك. والحقيقة أن الشكر فن من الفنون الجميلة والرائعة، ويحتاج تعلمه إلى درجة عالية من الشفافية والإحساس، وفي إمكان كل واحد منا امتلاكه إذا شاء. إن الخلق عيال؛ الله –تعالى- فلنجعل جزءاً من شكرنا له في نفع عياله ومنه –سبحانه- حسن الجزاء.

١.سورة النمل: ٤٠

الشمعة

13

"أمهاتكم ثم آباؤكم"



يشكل التلاحم الأسري لدينا إحدى نقاط التفوق على العالم الغربي، فنحن المسلمون نفاخر ونعتز بالرابطة العظيمة التي تربط أفراد الأسر والعوائل لدينا، وبالتضامن والتكافل الذي نلمسه داخل معظم الأسر الإسلامية، وإن كانت ضغوطات الحياة ومتطلبات العمل باتت تدفع كثيراً من الناس نحو الانشغال بأنفسهم عن الاهتمام بآبائهم وأمهاتهم، وهؤلاء يخسرون شيئاً عظيماً، هو أكبر من كل المكاسب التي يحصلون عليها. تأملوا يا أبنائي وبناتي قول الله -تعالى-: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾[١] .

١.سورة الإسراء: ٢٣،٢٤.

وتأملوا قوله ﷺ : "رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة"[١] . وهذا كناية عن الذل، فكأن من فاتته فرصة دخول الجنة بسبب عدم بر والديه قد وضع وجهه على الأرض حتى التصق أنفه بالتراب. إن للوالد فضلاً عظيماً على أولاده، وهذا الفضل هو من الضخامة إلى درجة تعذر شكره والمكافأة عليه، إلا في حالة واحدة، بيّنها ﷺ بقوله: "لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً –أي عبداً– فيشتريه فيعتقه"[٢] . وإن حق الأم أعظم من حق الأب، فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: "يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك"[٣] .هناك شباب بررة، يتسلم الواحد منهم مرتبه آخر الشهر، ثم يضعه بين يدي أبويه قائلاً: خذا منه ما شئتم، واتركا ما شئتم، وما تأخذانه أحب إلي ممّا تتركانه! وهناك شباب وشابات يكفون عن الحديث في أي مجلس فيه آباؤهم وأمهاتهم. وهناك شباب يمرون على آبائهم وأمهاتهم كل صباح وهم ذاهبون إلى أعمالهم، وذلك للسؤال عنهم وبرهم ومؤانستهم وقضاء حوائجهم .... هؤلاء يتاجرون يا أبنائي وبناتي مع الله بهذا السلوك، وهم الرابحون الظافرون. وعندي في هذا السياق ملحوظة صغيرة، هي أن دعاء الوالدين لأولادهما منه ما هو من قبيل العطف والشفقة، وهذا يصدر من الأبوين ولو كان الأولاد غير بارين بهما. وهناك دعاء يخرج من الأعماق؛ لأنه يعبر عن الامتنان لبر الأولاد لهما وعن الرضا والإعجاب بصنيعهم، وهذا هو الجدير

١.رواه مسلم.

٢.رواه مسلم.

٣.متفق عليه.

بالإجابة.

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟

إنه يعني الآتي:

1- ابحثوا عن ألطف العبارات وأرق الكلمات لتخاطبوا بها آباءكم وأمهاتكم، وأبدعوا في ذلك، فمهما قلتم، فأنتم غير مسرفين.

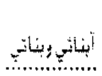
2- اتخذوا من بر آبائكم وأمهاتكم سبيلاً للفوز برضوان الله تعالى.

3- ما دام آباؤكم وأمهاتكم لا يُؤثِرون أحداً عليكم، فإنكم لن تبروهم حق البر إلا إذا آثرتموهم على الزوجة والولد.

4- أرونا تفننكم في إيجاد المفاجآت السارة لآبائكم وأمهاتكم.

5- لتكن استقامتكم أكبر هدية تقدمونها لأحب الناس وأعز الناس.

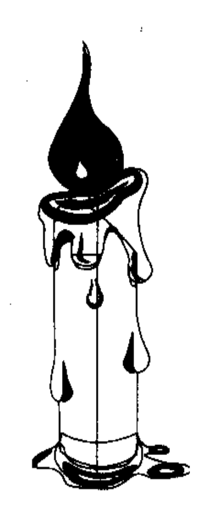
■■■■



الشمعة

14

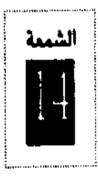
"أكفاء بامتياز"



قد يتساءل أبنائي وبناتي: هل في إمكان كل واحد منا أن يمتلك كفاءة شخصية عالية، ويؤدي أداءً ممتازاً، ويكون في مقدمة الصفوف؟ أو أن هذا مقصور على الأذكياء أو الذين درسوا في مدارس وجامعات ممتازة، أو الذين يملكون المال ....؟

في الجواب على هذا التساؤل أقول: نحن عبيد الله – تعالى- وكل شأننا بيده، وكل أمورنا تمضي وفق مشيئته، ومع هذا فنحن مأمورون بالأخذ بالأسباب، فهذه الدنيا دار أسباب ومسببات، ومقدمات ونتائج. وإذا حاولنا قراءة أوضاع الناجحين والمخفقين من حولنا، فإننا نستطيع معرفة أسباب نجاحهم بنسبة تزيد على (90%) فالله – سبحانه- لا يضيع عمل العاملين واجتهاد المجتهدين. وكلي أمل يا أبنائي وبناتي أن تتحركوا في حياتكم على هذا الأساس.

الآن تصوروا معي أن كل واحد منكم يقف أمام لوحة ضخمة بيضاء وقد طلب منه



أن يرسم عليها بفرشاته الخاصة، والتي سيغمسها في علب الألوان المختلفة، وتلك الألوان هي خياله وذوقه وعلمه وأخلاقه وخبراته وطموحاته وأحلامه .... من تلك الألوان سيُخرِج لنا لوحة فنية تأسر العين وتبهر الناظرين .... تلك اللوحة هي حياته وإنجازاته، فكيف يعمل؟ إن عليه أن يقوم بالعديد من المبادرات الشخصية، والتي منها:

1.انظروا إلى الكفاءة الشخصية على أنها نتيجة (إدارة الذات) على نحو جيد، وهي بالتالي ليست عبارة عن تفوق شخص على أشخاص آخرين، وإنما تفوق شخص على ذاته، وهذا أعظم أنواع التفوق.

2.ليس المطلوب من الواحد منكم أن يحصل على درجات أكثر أو أن يجمع أموالاً أكثر، أو أن يحظى بوظيفة عُليًا .... المطلوب دائماً أن يشعر في أعماقه أنه يقوم بعمل عظيم ونبيل ومبدع، وأن يشعر أنه يمضي قُدُماً نحو الأمام.

3.ما أعظم أن ننظر إلى كل لحظة من عمرنا على أنها (لمسة فرشاة) ومع كل لمسة يولد جزء من اللوحة العظيمة، وهذا يعني أن صورة ما نريد الوصول إليه متألقة في عقولنا ومتوهجة في نفوسنا، ولهذا فنحن نسير نحوها بثقة وتفاؤل وعزم ....

4.بعد أن تعرفوا أهدافكم ابذلوا جهودكم من أجل اكتشاف الطريق الأفضل والأسرع والأسهل إلى بلوغ تلك الأهداف.

5.تعلموا يا بناتي وأبنائي كيف تحفظون ذواتكم من التشتت من خلال التركيز في مجال واحد وعمل واحد ومن خلال الاهتمام بشيء واحد.

6.احملوا في جيوبكم دائماً دفاتر صغيرة لكتابة الأفكار العظيمة التي تسمعونها، وكتابة الملاحظات التي يمكن أن تستفيدوا منها في رسم لوحتكم المصيرية.

7.استعينوا على فهم مشاريعكم والوعي بذواتكم بجنود الفهم الستة: (ماذا)، (لماذا)، (متى)، (كيف)، (من)، (أين). وحاولوا أن تكون إجاباتكم دقيقة قدر الإمكان.

8.استشيروا الحكماء وأصحاب الخبرة والتجربة، فرب كلمات من خبير وفرت على شاب عناء سنين من التخبط وسلوك الطرق المسدودة.

9.كافئوا أنفسكم على كل إنجاز جيد من خلال التمتع بشيء تحبونه، وليكن ذلك دائماً في إطار المباح والمشروع.

10.حاولوا اكتساب عادات جديدة جيدة؛ لتكون أشبه بالخيوط الذهبية التي ستنسجون منها سلوككم.

11.ابحثوا دائماً عن التوازن والاعتدال، فهما أساس الحياة السعيدة والناجحة، وحاولوا إعطاء كل ذي حق حقه.

12.الاهتمام والعزيمة والصبر والمثابرة صفات وأخلاق لا يستغني عنها أي شخص يريد أن يحقق نجاحاً باهراً، فاجعلوها عدتكم في الرخاء والشدة.

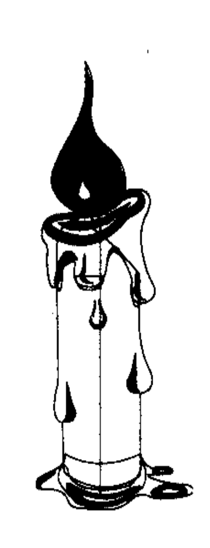
13.توفيق الله – تعالى- ومعونته، هما أساس النجاح، ولا نحصل عليهما إلا بالإخلاص والاستقامة.

■■■■

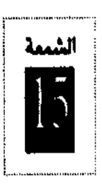
الشمعة

15

"لا تساوم على مبادئك"



إن الإيمان الذي في قلوبنا والاستسلام لما جاء به النبي -ﷺ- يجعل كل واحد منا صاحب مبادئ وقيم عظيمة وسامية، وإن قيمتنا الحقيقية تنبع من التمسك بتلك المبادئ والقيم. أنتم تعرفون يا بناتي وأبنائي الدفق الثقافي الهائل الذي نتعرض له اليوم، وتعرفون أن كثيراً منه يفد إلينا من ثقافات ومن أمم لا تدين بما ندين به، كما أن العولمة التي تنشر أشرعتها في كل مكان من الأرض، تعمل على دفع الناس نحو البحث عن مصالحهم المادية بعيداً عمّا تقتضيه القيم والتعليمات الإسلامية السامية، وهذا كله يشكل تحدياً كبيراً لنا جميعاً. كلما كبرتم وتفتح وعيكم على الحياة وجدتم أنكم أكثر عرضة للمساومة من قبل أشخاص كثيرين، لا يرجون الله واليوم الآخر: مساومة على المبدأ وعلى الضمير والمروءة والكرامة، وينبغي أن تكونوا مستعدين للمقاومة. ستجدون كثيرين من حولكم يخضعون



للإغراء، ويخبطون في الحرام خبطاً، وليس هؤلاء بأكرم الناس ولا أسعد الناس، ولا ينبغي للمرء أن يتأثر بكثرتهم، فهم عند الله ضئيلون، لا وزن لهم ولا قيمة، ورحم الله القائل: "لا تستوحش من طريق الحق لقلة السالكين فيه، ولا تغتر بطريق الباطل لكثرة الهالكين فيه". لا تنسوا يا بناتي وأبنائي أننا هنا في دار ابتلاء، وأننا لن نستطيع الحصول على كل شيء، ولهذا فإن الواحد منا لن يستطيع تحقيق مصالحه ونيل مشتهياته إلى الحد الأقصى مع التمسك التام بمبادئه وقيمه، ولا بد أن يجد نفسه في لحظة ما مضطراً إلى التنازل عن شيء من هذه أو تلك، فكونوا ممّن يناصرون المبدأ، وينحازون للحق، ولا تنسوا القاعدة الذهبية: (من ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه).

ماذا يعني هذا بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟

إنه يعني الآتي:

1- أظهروا براعتكم الشخصية في تحقيق مصالحكم في إطار مبادئكم وأخلاقكم الإسلامية، فهذا هو التحدي الكبير

2- عوّدوا أنفسكم التنازل عن بعض الأشياء المادية في سبيل البقاء على المنهج القويم.

3- المال ليس كل شيء في هذه الحياة، ويجب أن نثبت لجميع الناس أن في حياتنا أشياء عزيزة غيرقابلة للمساومة أو البيع أو التنازل.

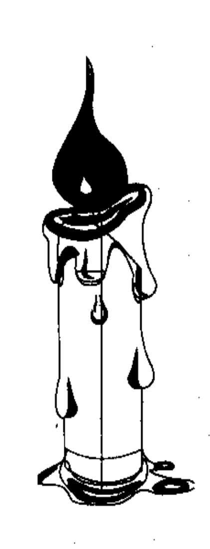
والله يثبتنا على الحق وإياكم.

الشمعة

16

"العمل مفتاح الحياة"





الحياة صندوق مغلق، ونحن جميعاً في حاجة ماسة إلى معرفة ما فيه، وليس له سوى مفتاح واحد، وذلك المفتاح هو (العمل).

في القرآن الكريم اقتران شبه مطرد بين الإيمان والعمل الصالح؛ وذلك لأن الإيمان يمنحنا الرؤية، ويدلنا على الطريق، والعمل هو الجواد الذي سنمتطيه لقطع ذلك الطريق، أنا أشعر يا بناتي وأبنائي أن الله – تعالى- زود بني الإنسان بإمكانات هائلة، وأتاح لهم فرصاً عظيمة، لكنهم لا يستفيدون منها على الوجه المطلوب، لماذا ذلك يا ترى؟!

هناك عدد من الأسباب، من أهمها الكسل، وانحسار الطاقة الروحية المطلوبة للاستمرار في بذل الجهد؛ وقد أعجبني قول أحد الحكماء: "ليس الإنسان ضئيلاً، لكنه كسول إلى حد بعيد"!. لا يؤذيني منظر مثل ما يؤذيني منظر شاب يائس

محبط باطل عن العمل، يتسكع في الشوارع، ويطلب نفقته اليومية من أبيه الفقير المرهق!.

كافحوا أيها الأعزاء من أجل العثور على العمل الذي تحبونه، فإذا وجدتموه، فاهتموا به وأتقنوه، وانظروا إليه كما لو أنه امتحان صعب يتحداكم، وتذكروا دائماً أن الأعمال التي تنجزونها وفق معايير عالية تفتح لكم آفاقاً جديدة نحو فرص وأعمال أكبر لم تكن تخطر ببالكم، وهناك آلاف القصص والوقائع التي تؤكد هذا المعنى.

سوف تنجحون يا أبنائي وبناتي –بإذن الله- إذا حوّلتم الأعمال التي تقومون بها إلى مهنة تؤدونها باحتراف وإتقان، وعليكم بعد ذلك أن تنظروا إلى مهنتكم تلك على أنها مهمة يومية تستنفر كل قواكم الكامنة، وتشعرون وأنتم تؤدونها بأنكم تقومون بعمل عظيم.

العمل نعمة من الله، وليس مجموعة مشاق، وإن من العجيب حقاً أن العمل مهما كان صغيراً يمتلك نفس ميزات العمل الكبير، وعلى سبيل المثال فإن العمل الصغير والعمل الكبير يحقق الآتي:

- يخلصنا من الفراغ.
- ينقلنا من مرحلة التخطيط والتمني والاشتهاء إلى مرحلة التنفيذ.
- يساعدنا على اكتشاف أنفسنا وقدراتنا ومواهبنا.
- يُحسِّن البيئة التي نعيش فيها؛ لتكون الحياة فيها بعد ذلك أسهل.

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟

1- عليكم أن ترتبوا أموركم على أساس أن الحياة هي العمل، وأن العمل الجيد

هو حياة جيدة.

2- إذا لم يحصل أحدكم على العمل الملائم له، فلا يجلس فارغاً، وليعمل في أي شيء نافع إلى أن يحصل على العمل الذي يحب.

3- لا تنظروا إلى المهن على أنها شيء شائن، فالشائن حقاً هو الحاجة إلى الناس والرشوة واللصوصية، وأكل أموال الناس بالباطل.

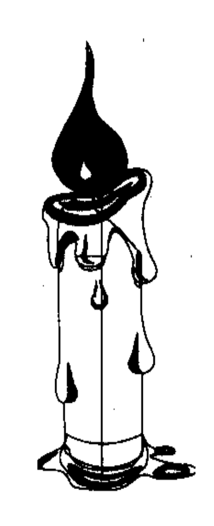
4- في البلد فرص كثيرة جداً وهي تنمو باستمرار، والمشكل هو عدم وجود مؤهلين لها، فأهلوا أنفسكم على نحو جيد.

■■■■

الشمعة

17

"روح شبابية"



ليس هناك تلازم ذو قيمة بين الروح والجسد، فقد يكون المرء في مقتبل العمر وروحه روح عجوز، وقد يكون المرء في سن الثمانين، وهو يتمتع بروح الشباب! هل هذه مبالغة؟! أنا هنا في مقام الناصح والمرشد لأبنائي وبناتي، ولا ينبغي أن أتجاوز الحقيقة لأي سبب من الأسباب، وهذه هي الحقيقة. وأظن أن أفضل شيء نفعله الآن، هو أن نذكر مقومات الروح الشبابية حتى يعرف كل واحد منكم ما مقدار ما يملكه منها:

1- تعني الروح الشبابية وجود ثقة كبيرة بكرم الله – تعالى- ولطفه ومعونته، والانتظار لمدده وعطاءاته غير المحدودة.

2- تعني الروح الشبابية المرونة والتكيف وتفتح العقل، والإصرار على منع شرايين الذهن من أن تقسو وتتصلب.



3- تعني الروح الشبابية الاحتفاظ بالمرح والتفاؤل والتجاوب مع الطرفة الذكية والضحك ملء القلب من النكات البارعة.

4- تعني الروح الشبابية النمو المستمر على مستوى الروح والعقل والأهداف والتطلعات، وتذكروا أيها الأعزاء والعزيزات أن المرء يشيخ حين تشيخ أحلامه، ويموت حين يموت آخر حلم له.

5- تعني الروح الشبابية التفكير بطرق جديدة وقراءة كتب جديدة وممارسة هوايات جديدة، كما تعني الحب المتدفق للاكتشاف وفهم الوجود.

6- تعني الروح الشبابية ألّا نفكر أبداً –نحن معاشر الشيوخ- فيما يطرأ على وجوهنا من تغيرات، وأن نركز انتباهنا على ما يمكن أن نفعله.

7- تعني الروح الشبابية الانشغال الدائم وبذل الجهد المتواصل من أجل بناء مستقبل زاهر لنا ولأمتنا.

8- تعني الروح الشبابية التخطيط لأعمال ومشروعات، يرجى ثمرها بعد مدة ليست قصيرة، فالذين شاخت أرواحهم هم وحدهم الذين يخططون للمشروعات العاجلة.

9- تعني الروح الشبابية القدرة على الصفح والعفو عن أعظم الزلات، فالشباب هم أصحاب القلوب البيضاء والأرواح النقية.

10- تعني الروح الشبابية المسارعة إلى عمل الخير، ونفع العباد، والإسهام في بناء الوطن.

11- تعني الروح الشبابية التأبي على البيئة اليائسة المحطمة، والانطلاق نحو الآفاق الرحبة.

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى بناتي وأبنائي؟

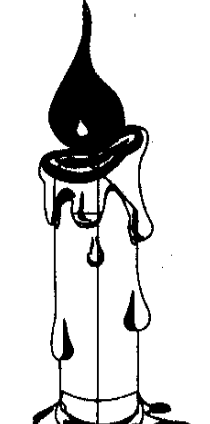
إنه يعني شيئاً واحداً هو أن تجددوا أرواحكم من خلال ما ذكرناه! والله يتولانا وإياكم بلطفه ومعونته.

■■■■

الشمعة

18

"اللمسة الشخصية"



الناس متشابهون إلى حد بعيد في أمور كثيرة، ولذلك فإن كل واحد منا سيظل في حاجة إلى لمسة خاصة تتصل باللطف والشفافية، أو تتصل بالإتقان والجودة، أو تتصل بالعطاء والإحسان، أو بالتعبير وأسلوب الكلام .... اللمسة الشخصية شيء يميز الإنسان عن مئات الناس العاديين الذين يختلط بهم، وليس المقصود بالتميز التميز المعبر عن التعالي، وإنما التميز المعبر عن الذوق الرفيع واللطف والكرم والأريحية وحسن الأداء، وهذا يجعل المرء قدوة تتعلم منه الأجيال الجديدة، وتزدهر به الحياة الراكدة.. هنا سيقول بعض بناتي وأبنائي: ما المقصود باللمسة الشخصية؟ وهل في إمكان كل واحد منا أن تكون له لمسته الخاصة؟!

الجواب: نعم وبكل تأكيد، وهذه بعض الأمثلة الموضحة:

■ تعوَّد أصحاب المحلات التجارية أن يغري كل واحد منهم المتسوقين بالشراء من



محله، ويشتد الإغراء في أيام الكساد والركود. بعض أصحاب اللمسات الشخصية، كانوا يقولون لمن جاء في الصباح ليشتري منهم: أنا اليوم استفتحت –أي بعت شيئاً- لكن جاري لم يستفتح بعد، اذهب إليه واشتر منه!.

■ كل الناس يقولون على مسجلات هواتفهم عبارات قريبة من: "أرجو أن تذكر اسمك ورقم هاتفك وحاجتك" هناك شخص صاحب لمسة شخصية وراقية جداً سجل على جهازه عوضاً عن "حاجتك لي" : "وحاجتي إليك" إكراماً للمتصل! لله دره!.

■ في عالمنا العربي لا يلتزم معظم الناس بالوعود التي يقطعونها، فتجد الواحد منا يقول: أكون عندك الساعة الثامنة، وربما لا يأتي إلا بعد التاسعة، وقد لا يحضر أبداً، لكنّ هناك أشخاص قليلون يلتزمون بالمواعيد على نحو دقيق جداً إلى درجة أن في إمكان المرء أن يضبط ساعته على مواعيدهم، وصار من لا يملك ساعة يقول: "الساعة الآن هي السابعة؛ لأن، فلاناً يخرج من بيته الساعة السابعة!".

ما الذي يعنيه هذا الكلام بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟ إنه يعني الآتي:

1- اللمسة الشخصية تعني تميز صاحبها، وأمتنا في حاجة ماسة للمتميزين، فحاول أن تكون واحداً منهم.

2- اللمسات الشخصية أكثر من أن تحصى، وحين يتوفر الصدق والاهتمام، فإن كل واحد منا قادر – بإذن الله تعالى- على أن تكون له لمسته الخاصة

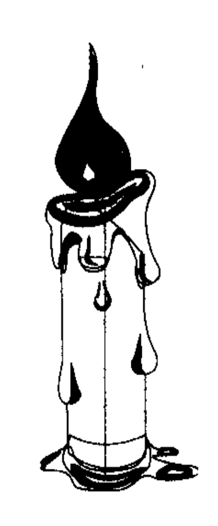
3- ترتقي الأمة من خلال وجود عدد كبير من أصحاب اللمسات الشخصية، فكونوا عامل ارتقاء بأمتكم.

4- بناتي ربما يكن أقدر على إبداع اللمسات الشخصية، ونحن نأمل أن يكن عند حسن الظن.

الشمعة

19

"مزيداً من الوعي"



تكمن نقطة البداية في النهوض بالذات والارتقاء بها في التعرف على نقاط قوتها وضعفها وإيجابياتها وسلبياتها وإنجازاتها وإخفاقاتها .... وأنا أعتقد يا أبنائي وبناتي أن وعي جيلكم بنفسه أفضل من وعي جيلنا والجيل الذي قبله؛ وذلك بسبب انتشار التعليم وبسبب ثورة البث الفضائي المتصاعدة، لكن لابد من القول: إن معرفة الذات على نحو عميق هي من قبيل السهل الممتنع. ولهذا شرح طويل لا أريد أن أشغلكم به الآن، ويكفي أن أقول: لو أن الواحد منا رغب في أن يعدد خمساً من نقاط القوة في شخصيته وخمساً من نقاط الضعف، فإنه سيجد أن ما سيقوله في هذا غير واضح وغير قطعي، ويحتمل الجدل والأخذ والرد.

السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: إذا كان اكتشاف الذات على هذه الصورة من التعقيد، فما الذي يساعدنا على ذلك؟



أقول في هذا الجواب على هذا التساؤل: إن لدينا عدداً من الأمور الجيدة، منها:

1- أسأل صديقاً فطناً وناصحاً، واسألي صديقة ذكية ومخلصة عن الأشياء الجيدة في شخصيتك والأشياء التي هي موضع ملاحظة ومؤاخذة، وليلح كل واحد منكما على الصراحة والصدق، وقوما بتسجيل تلك الملاحظات والتأمل فيها مع الأخذ بعين الاعتبار بأن ما يقوله الأصدقاء فينا هو رأي اجتهادي، قد يكون صحيحاً، وقد لا يكون، لكن يستأنس به.

2- حاولوا يا أولادي أن تحولوا مشاعركم وانطباعاتكم وأفكاركم إلى شيء يمكن أن يُنَاقش، وذلك من خلال صياغتها في جمل وعبارات واضحة، وذلك مثل القول: أنا لدي قوة ظاهرة في التخيل، ولدي قدرة كبيرة على لفت انتباه الآخرين، ولا أفرط بأي فريضة من الفرائض، كذلك لدي صراحة مهذبة وذكية .... ومثل ذلك القول في نقاط الضعف: لدي مشكلة في الإنجاز، حيث إنني أميل إلى التسويف، كما أن علاقتي مع أمي ليست حميمة بالقدر الكافي، وألاحظ بقوة أن الزملاء لا يحبون أن أشاركهم في اللعب .....

هذا البيان الشخصي هو بيان أوّلي، ويحتاج إلى تطوير مستمر.

3- تأمل في سلوكك اليومي: هل تقصر في أداء فريضة؟ هل تقع في كبيرة؟ إذا وجدت شيئاً من ذلك فتوقف فوراً، وأعلن التوبة، واصرخ في وجه نفسك صرخة قوية مزلزلة .... وإذا وجدت أن الأمر دون ذلك، ولا يعدو حد الهفوات فاحمد الله، وافعل شيئاً من أجل التقدم والصلاح .....

4- المقارنة وسيلة جيدة لزيادة الوعي الذاتي، ولهذا فليحاول كل واحد منكم أن ينظر إلى الأصدقاء والزملاء. ولتحاول كل واحدة منكن أن تنظر إلى الصديقات

والزميلات الذين يعيشون في ظروف مثل ظروفكم، ولديهم معطيات مثل معطياتكم .... أن ينظر ما لديهم من إنجازات، وما هم عليه من خير وإصلاح، وما هم فيه من أوضاع وأحوال، ويقارن هذه بتلك ليعرف موقعه بين نظرائه: هل هو أفضل أو أقل؟

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟

إنه يعني الآتي:

1- لا يمنع أحدكم الغرور والعجب من أن يتعامل مع ذاته على أنها شيء غامض، يحتاج فعلاً إلى اكتشاف.

2- تعرفوا على أنفسكم من أجل الارتقاء بها، وليس من أجل جلدها وإلحاق كل النقائص بها.

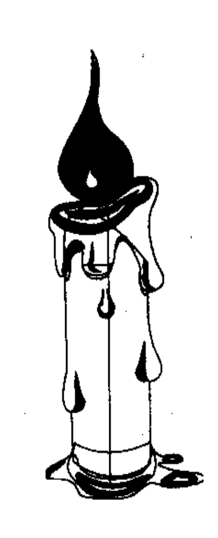
3- الإنسان في الرؤية الإسلامية هو مركز الكون، ولهذا فإن فهم الناس لأنفسهم هو المقدمة الحقيقية لفهم الكون.

■■■■

الشمعة

20

"احترام الآخرين"



لا يخفى على أحد ما تحقق للناس من تمدن وتحضر واستقرار وتعليم ورفاهية، مما يستوجب الحمد لله والثناء عليه، لكن من المهم ألا ننسى أن لدينا شواهد كثيرة على أن (التوحش) وما يصحبه من ظلم وبغي وجفاء، أشبه بالفيروس الكامن، والذي في إمكانه أن يظهر ويثور في أي وقت، وهذا يتطلب ألّا نتيح له فرصة الظهور كي نحمي مجتمعاتنا من الانحطاط والعدوان. إن الله – تعالى- وجهنا إلى شيء عظيم، يرسخ فضيلة الاحترام حيث قال: "وقولوا للناس حسناً"[1]. أي كلموهم بالكلام الطيب، وألينوا لهم جانباً، ولاطفوهم، وناصحوهم بما يصلح شأنهم. كلما درج الناس في سلم الحضارة يابناتي وأبنائي توقعوا من بعضهم احتراماً أكبر ولطفاً أعظم، ولهذا فإن علينا جميعاً أن نكون دقيقين في تعبيراتنا

١. سورة البقرة: ٨٣.



وتصرفاتنا حتى لا يؤذي بعضنا بعضاً من غير قصد. القاعدة الذهبية في هذا هي أن نخاطب الناس بالأسلوب الذي نحب أن يخاطبونا به، ولو أننا عملنا بهذه القاعدة لتخلصنا من كثير من مشكلاتنا الاجتماعية، وما أجمل قوله ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه"[1] الناس بفطرتهم يحتاجون حاجة ماسة إلى من يعترف بهم، ويقدّرهم، ويثني عليهم، ،يحفزهم، ويهتم بهم، وقد قال أحدهم: "من الأساطير المتداولة: مكتوب على جبين كل إنسان: أرجوك أعرني اهتمامك، ولا تمر بي غير آبه". إلقاء السلام على من نلقاه في طريقنا، والتبسم في وجهه، وسؤاله عن حاله، والاعتذار إليه عند الخطأ والمسارعة إلى مساعدته في ساعة ضيق أو كرب، والثناء على أعماله الحسنة.... كل ذلك من الأمور التي تعبر عن الاحترام والاهتمام.

احذروا يا بناتي وأبنائي من التكبر على الآخرين وإهمالهم والاستخفاف بهم، وقد أحسن من قال: إن المتكبر مثل الصاعد في الجبل، يرى الناس صغاراً، ويرونه صغيراًا كأني بالمتكبر ينشر معادلة الاحتقار المتبادل، على حين أن تعاليم ديننا توجهنا إلى أن ندعم قاعدة الاحترام المتبادل وقاعدة الاهتمام المشترك. نحن جميعاً في حاجة إلى أن ننمي في نفوسنا مشاعر (الاستحياء من الذات)؛ لأننا حينئذٍ سنقوم باحترام الناس وتقديرهم؛ لأنه لا يليق بنا غير هذا. لاشك أن في المجتمع من يستحق احتراماً خاصاً، وعلى رأسهم الأبوان والمعلمون وكبار السن، ومن لهم أيادٍ بيضاء في خدمة الناس والإحسان إليهم، وفي خدمة البلاد ورفعة شأنها، وقد قال ﷺ: "ليس منا من لم يجلّ كبيرنا ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا

١. متفق عليه.

قدره"[1] . وقال: "إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط"[2].

ماذا يعني هذا بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟

إنه يعني الآتي:

1- من أراد منكم أن يكون محترماً جداً، فليعامل الناس على أساس قيم واحدة؛ لأن الشخص المهذب اللطيف الكريم، لا يستطيع أن يتلون في سلوكه، ولا أن يلقى الناس بوجوه متعددة، إنه يكرم الجميع، ويصبر على الجميع، ويحاول فهم الجميع، ويعمل على مساعدة الجميع، ولهذا فإنه محترم ومقدّر من قبل الجميع.

2- احترام الناس يعني فيما يعنيه احترام اجتهاداتهم واختياراتهم وأذواقهم مادام ذلك في إطار المباح والمشروع.

3- حاولوا دائماً اختيار الكلمات والجمل المعبرة عن أصالتكم وترفعكم عن الدنايا، واهجروا الألفاظ السوقية التي يستخدمها الأشخاص غير المحترمين.

4- اعملوا دائماً على ألّا تكونوا مصدر إزعاج لأحد، وألّا تفاجئوا أحداً بمكروه، وتعلموا التأنق في التصرف، وطالعوا شيئاً من الكتب المؤلفة في ذلك.

■■■■

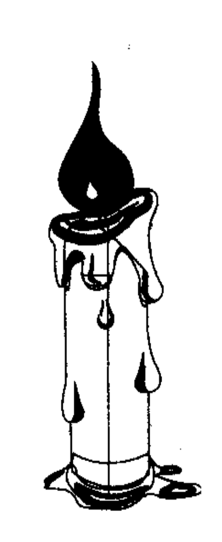
١. حديث حسن رواه أحمد وغيره.

٢. حديث حسن رواه أبو داود وغيره.

الشمعة

21

"لكل شيء طاقة على التحمل"



جاء جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- بفكرة جوهرية هي (المحدودية): محدودية الحياة والإنسان والأشياء. والحقيقة يا بناتي وأبنائي أن لدينا الكثير من التطبيقات لهذه الفكرة المهمة، وإن تجاهلها يجّر على المرء الكثير من المشكلات. إذا كان لكل شيء طاقة على التحمل، فهذا يعني أننا إذا حمّلناه فوق طاقته فإننا نخسره، أو يخذلنا، أو ينقلب علينا. وهذه الشمعة يا أعزائي وعزيزاتي مخصصة؛ لإضاءة بعض المفاهيم المهمة في هذا الشأن وذلك من خلال استعراض بعض الأمثلة:

1- إن الحديد الذي نجعله في الأعمدة من أجل حمل أسقف المباني، له طاقة على التحمل، فإذا حملناه أكثر من طاقته ماذا يحدث له؟ إنه ينحني، وإذا انحنى صار وجوده مثل عدمه، وسقط السقف، وهذا مثال مادي محسوس وسهل الفهم.

2- الوازع الداخلي -الضمير- الذي في صدوركم والتربية الممتازة التي تلقيتموها في أسركم والمبادئ العظيمة التي تؤمنون بها .... كل ذلك له طاقة على التحمل، فلا تحملوه فوق طاقته من خلال العيش في بيئة مملوءة بالمعاصي والمنكرات، ولا تحملوه فوق طاقته من خلال مصاحبة رفاق السوء الذين يتعاونون مع شياطينكم على إغوائكم وتدميركم. وإن كثيراً من الشباب والشابات الذين انحرفوا، إنما حدث لهم ذلك؛ بسبب مواجهة تحديات أخلاقية غير عادية، وينبغي على العاقل أن يتعظ بغيره.

3- كثير من الشباب والفتيات لديهم ذكاء ونبوغ جيد، لكنهم لم يحققوا أي تفوق أو نجاح لافت، وذلك كثيراً ما يكون بسبب تعويلهم المبالغ فيه على مواهبهم الفطرية، أي أنهم حمّلوا ذكاءهم فوق طاقته في رحلة الحصول على التفوق. وقد دلت وقائع كثيرة، تفوق الحصر على أن الذكاء ليس أكثر من عنصر واحد من العناصر التي يتطلبها النجاح، فهناك العلم والتدريب والجدية والمثابرة ووضوح الأهداف والإرادة الصلبة .....

4- بعض الفتيات يتمتعن بجمال متفوق وبارع، وقد تزوجن، وبعد مدة وجيزة بدأت الخلافات مع الزوج، ثم وقع الطلاق .....

لماذا حدث ذلك؟ هناك طبعاً أسباب عديدة، منها اعتماد الفتيات على جمالهن وتحميله ما لا يتحمل حيث تظن الواحدة منهن أن جمالها يوجب على الزوج أن يتحمل كل الأخطاء، ويستجيب لكل الطلبات، وما دَرَتْ أن الجمال يصبح شيئاً مألوفاً للزوج بعد مدة، وأن الذي يستمر هو جمال الروح وجمال الخلق.

ماذا يعني هذا بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟

إنه يعني الآتي:

1- لاحظوا دائماً أن لكل شيء حداً يجب التوقف عنده، وكما يقولون: إن الشيء إذا تجاوز حده انقلب إلى ضده.

2- التوازن هو أجمل شيء في الحياة، وأهم شيء، وهو يعني الاعتماد على عناصر متعددة في تسيير أمور حياتنا وقضاء حاجاتنا، فابحثوا عنه باستمرار.

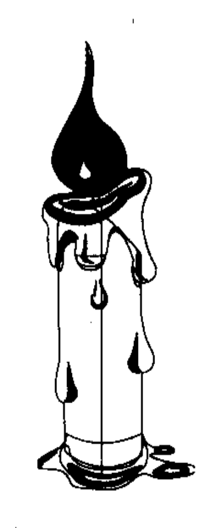
3- احموا أنفسكم من مبالغات الشباب واندفاعاتهم، والتي تدفع دائماً في اتجاه التطرف والابتعاد عن الوسطية.

■■■■

الشمعة

22

"العطاء الحقيقي"



حين نكون في مقتبل العمر في مرحلة ما قبل النضج يغمرنا اعتقاد بأن السعادة تكون في الصحة والجمال والمال وكل الأشياء التي يمكن أن نستحوذ عليها، وحين ننضج وتظهر لنا الأمور على حقيقتها نكتشف على سبيل التدرج أن السعادة في العطاء وفي جعل الناس حولنا سعداء.

في مرحلة ما قبل النضج نظن أن العطاء العظيم يكون في إطعام الطعام وتقديم المال لمن يحتاج إليه، وحين نكبر، وننضج، يتبين لنا أن العطاء الحقيقي ليس عطاء المال، وإنما أشياء أخرى أهم من المال أتعرفون ما هي يابناتي وأبنائي؟ إنها أشياء تتصل بالروح والعقل والخبرة والوقت:

- نحن نعطي عطاءً حقيقياً حين ندعو بإلحاح لأخ في ظهر الغيب.
- نحن نعطي عطاءً حقيقياً حين نعفو عمّن أساء إلينا، وتصبح قلوبنا صافية ونقية نحوه.



■ نحن نعطي عطاءً حقيقياً حين نقبل عذر من يعتذر إلينا، ونقيل عثرته.

■ نحن نعطي عطاءً حقيقياً حين نقدِّم فكرة عظيمة، تغير حياة إنسان نحو الأحسن والأفضل.

■ نحن نعطي عطاءً حقيقياً حين نحفز على الخير والنجاح، ونقدم التشجيع الصادق.

■ نحن نعطي عطاءً حقيقياً حين نكون مواطنين صالحين، نسهم في حمل أعباء الوطن.

■ نحن نعطي عطاءً حقيقياً حين يشعر مَنْ يحتك بنا أن الحياة تكون رائعة حين يكون في جوارنا.

■ نحن نعطي عطاءً حقيقياً حين نتنازل عن شيء من وقتنا لتقديم خدمة أخوية.

■ نحن نعطي عطاءً حقيقياً حين نقدِّم الاحترام لمن لا يستحقه؛ وذلك لأن طبيعتنا تأبى غير ذلك.

يقول أحد الفلاسفة: "هبة الأشياء ليست ثمينة كهبة الأفكار، بل إن الخواتم والجواهر وكل الأشياء النفيسة التي نقدمها لمن نحب ليست هبات حقيقية، ولكنها اعتذار عن الهدايا الحقيقية، الهبة الوحيدة الحقيقية هي بضعة من النفس."

تأملوا يا بناتي وأبنائي قول الله – تعالى-: "والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين أمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم"[١]، وقوله ﷺ: "دعوة المرء لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكَّل به: آمين ولك بمثل"[٢]،

١.سورة الحشر: ١٠

٢. رواه مسلم.

إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يكونوا يملكون المال –باستثناء حالات قليلة– ولم تكن الأشياء هي أعظم ما قدموه لأممهم، لكنهم قدموا الرؤية والمنهج والأفكار والأهداف والغايات الكبرى، وعلى هديهم سار كل المصلحين الربانيين على امتداد تاريخ أمة الإسلام.

ماذا يعني هذا بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟

إنه يعني الآتي:

1- اعملوا كل ما في وسعكم لإسعاد من حولكم، فذلك قمة العطاء.

2- حين نقدم لمسلم خدمة بإخلاص، فإننا في الحقيقة نقدمها لأنفسنا؛ لأننا بذلك نتأهل لاستقبال فيوضات الرحمن الرحيم.

3- لا تخافوا من نجاح زملائكم، فهو نجاح للأمة، وأنتم جزء منها.

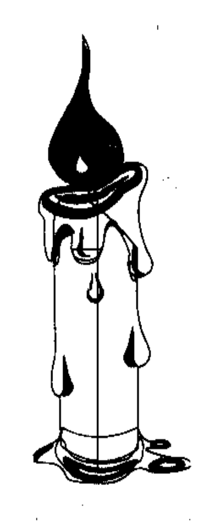
4- التبسم وحسن الاستقبال والتعاطف والاهتمام والمودة من أكثر ما يحتاج إليه الناس، وهو أكثر ما ينبغي أن نجود به.

■■■■

الشمعة

23

"لا تستسلموا للإخفاق"



نحن في هذا الكون نمضي في إطار سنن ربانية ثابتة، وإذا كان علينا أن نتعرف عليها، فإن ذلك ليس من أجل التحايل عليها، وإنما من أجل التكيف معها والعمل في ظلالها، ومن تلك السنن أننا لا نستطيع أن نضمن نتائج محاولاتنا واجتهاداتنا على نحو دائم، وكلما كان ما نسعى إلى الحصول عليه كبيراً كانت حساباتنا أقل دقة، وكان حجم المخاطرة أكبر.

شيء جيد يا بناتي وأبنائي أن تفهموا هذه الحقيقية وأن تتعاملوا معها كما هي. وأنا ألمس في بعض تعاليم الإسلام ما يدعونا إلى أن تكون مطالبنا كبيرة، وألا نرضى بالقليل، وأن يكون لدينا نوع من المخاطر المحسوبة؛ لأن الذين لا يخاطرون قد لا يربحون، وإذا ربحوا، فإن أرباحهم تكون قليلة، ونلمح هذا في إحلال الله – تعالى- للتجارة وتحريمه للربا، فالتجارة تشتمل على نوع من المخاطرة، لكن



أفق الربح فيها واسع وغير محدود. أما الربا فإنه يخلو في العادة من المخاطرة، لكن هامش الربح دائماً محدود وقليل نسبياً. إذا كان الإخفاق وعدم الحصول على المراد وحدوث الكبوة بعد الكبوة شيئاً متوقعاً، فكيف ينبغي أن يتعامل أبناؤنا وبناتنا مع ذلك؟

لعلي ألخص الجواب في المفردات التالية:

1- انظروا إلى الإخفاق على أنه شيء طبيعي في الحياة، ولهذا فإن من المهم أن تكافحوا في حياتكم وفق القاعدة التالية: لا مكاسب كبيرة، ولا نجاحات عظيمة إلا عبر الكثير من المحاولات؛ وذلك لأن الفرص والإمكانات الكامنة لا تسفر عن وجهها بسهولة، ولا لكل أحد. وتذكروا أيها الأعزاء والعزيزات أنكم حين تخفقون تكونون في مسعى إلى تحقيق شيء قيِّم، والذين لا يذوقون طعم الإخفاق هم الكسالى والقاعدون والمحرومون من الطموحات الكبيرة.

2- علينا أن نعوِّد أنفسنا الرضا بالقضاء والقدر، فحكم الله – تعالى- نافذ، ولا معقب عليه، ونحن البشر قصيرو النظر محدودو الرؤية، فقد نتعلق بالشيء، وننظر إليه على أنه مصيري، ثم يتبين لنا أنه يشكل خطورة كبيرة، أو يتبين أنه شيء تافه، وتذكروا يا بناتي وأبنائي قول الله – عز وجل- "وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون"[1].

علينا أن نأخذ بالأسباب، ونفعل أفضل ما يمكن فعله، ثم نتقبل نتائجه بروحٍ صافية ونفس هادئة وراضية.

3- من المهم أن تعرفوا أننا لا نستطيع في معظم الأحيان أن نتحكم بالأحداث؛

١. سورة البقرة: ٢١٦

لأنها أكبر منا، ولكننا نستطيع أن نتحكم في ردود أفعالنا عليها، وهذا شيء يستحق الانتباه؛ لأن الذي يؤثر علينا ليس ما يحدث، وإنما الآثار التي يتركها في نفوسنا، مثل الذي يفقد مبلغاً كبيرة من المال، أو يفقد عزيزاً، أو يرسب في امتحان، فإن هذا قد يكون تأثيره مدمراً إذا أوْرَثنا اليأس والقنوط، أو غيَّر اتجاهنا في الحياة .... إن مياه البحر تحمل السفينة، ولا تؤذيها، لكنها إذا تسربت إلى داخلها، فإنها حينئذ تغرقها، وهكذا الأحداث التي تحدث لنا.

4- حاولوا بعد كل فشل وبعد كل سقوط أن تنهضوا بشكل أقوى لتثبتوا لأنفسكم وللناس من حولكم أن الإخفاق يشكل وقوداً روحياً لتوثب جديد.

5- تعلموا من الإخفاق ومن تاريخكم الشخصي أعظم الدروس، وتعرفوا على الطرق المسدودة كي تصلوا في النهاية إلى الطرق السريعة، فتمضوا فيها واثقين مطمئنين.

■■■■

الشمعة

24

"السعادة تدفق داخلي"



يسمع أبنائي وبناتي كثيرين يتحدثون عن أن السعادة تنبع من الداخل، وبعض أعزائي يشككون في هذا، ويقولون: أين كل ما تتحدث عنه الدعاية التجارية من متعة المال والمنصب الرفيع والسياحة والسفر واللهو .... هل هذه أشياء داخلية؟ أو أنكم تريدون إيجاد شيء لتعزية المفلسين والمحرومين؟

الجواب: لا

من المهم أن نفرق بين السعادة واللذة. اللذة فعلاً تأتي في الغالب من وراء تناول شيء أو لمس شيء أو النظر إلى شيء محسوس .... وهي تتصف بكونها عابرة ومؤقتة، فالتلذذ بالطعام والشراب والنوم على فراش وثير .... يكون ما دمنا متلبسين بذلك ومباشرين له، فإذا انصرفنا عنه إلى شيء آخر، انتهت اللذة، وصارت ذكرى. وإذا كان التلذذ بشيء محرَّم، فإن المتلذذ يشعر بشيء من

العتمةالروحية. وشيء من اللوم والندم؛ لأنه يشعر بأنه قد عصى الله – تعالى- وأنه كان ضعيفاً أمام رغباته.

أما السعادة يا أبنائي وبناتي، فإنها ليست شيئاً عابراً، إنها نوع من التربع على قمة السرور والانشراح والرضا والطمأنينة، وهذا ينشأ في معظم الأحيان من شعور المرء أنه على الطريق الصحيح وأنه في المكان الصحيح والموقف الصحيح والعلاقة الصحيحة، باختصار إنه الشعور الذي ينشأ من اعتقاد المرء أنه يعيش وفق مبادئه وقيمه وقناعاته، ولهذا كان أهل الإيمان والصلاح أسعد الناس وأشدهم شعوراً بالطمأنينة والأمان، كما قال - سبحانه-: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[١]. وقال - سبحانه-: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾[٢] . إذا أردنا ذكر بعض التفاصيل، فيمكن أن نقول: إننا نشعر بالسعادة:

- حين نتذلل بين يدي الرب الكريم الرحيم، وحين نناجيه، ونطلب منه ونشكو إليه، وحين نتبرأ من حولنا وقوتنا إلى حوله وقوته.
- حين ننتصر على أهوائنا، ونصمد في وجه المغريات.
- حين نساعد غيرنا على مواجهة صعوبات الحياة، فالسعادة مثل (العطر) لا تستطيع أن ترش منه على الآخرين دون أن يمسّك منه شيء.
- حين تغتني عقولنا بالأفكار العظيمة، وحين نكتشف روعة التعبيرات الجميلة.

---

١. سورة النحل: ٩٧

٢. سورة الأنعام: ٨٢

- حين ننجز عملاً كبيراً، وتمتلئ قلوبنا بالرضا عما أنجزناه.
- حين تظل نفوسنا وأيدينا مشغولة بالعمل من أجل تحقيق شيء نريد الحصول عليه.
- حين نتفاعل مع الجمال الذي بثه الله – تعالى- في الكون، فنطرب لابتسامة طفل ورسالة من صديق عزيز وتغريد بلبل ووهج نور يتسلل إلينا من النافذة.

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى بناتي وأبنائي؟

إنه يعني الآتي:

1- ابحثوا عن المسرات الدائمة من خلال عمل الصالحات والوجود حيث يجب أن تكونوا موجودين.

2- البطالة والعطالة والكسل والتقاعس والفوضى مصدر من مصادر التعاسة، فتخلصوا منها إذا أحببتم أن تكونوا سعداء.

3- درِّبوا أنفسكم على أن يكون فرحكم جماعياً من خلال إدخال السرور على الأهل والأصدقاء والزملاء..... واعلموا أن إدخال الفرح على قلوب الناس باب من أعظم أبواب التقرب إلى الله؛ تعالى.

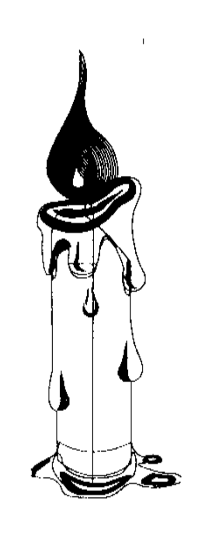
4- في إمكان المرء أن يبتهج بالقليل الذي بين يديه، وأن يجعل منه مصدراً لسرور مديد، وذلك إذا تحلى بالرضا.



الشمعة

25

"كونوا أصدقاء جيدين"



نحن في زمان تتلاشى فيه الأشياء المجانية، وتكثر في الاشياء التي تخضع للمساومة والمقايضة، وهذه الحالة تجعل الناس يشعرون بالخوف والضيق، ممّا يدفعهم في اتجاه التماس علاقات ذات طابع إنساني وخيري، وهم يجدون ذلك في علاقات الأخوة والصداقة الصادقة. الحياة اليوم أشبه بصحراء ملتهبة والصديق المخلص فيها هو النسمة العليلة والظل الظليل وقطرة الندى الباردة، فهو العافية للبدن، والضياء للعين والصوت الجميل للأذن.. فما سمات الصديق الجيد، وكيف يكون المرء صديقاً جيداً، ولماذا الشكوى المريرة عبر التاريخ من قلة الأصدقاء؟ هذا ما سأوضحه لبناتي وأبنائي عبر السطور الآتية:

■ إن أول خطوة في اختيار الصديق تتمثل في الحرص على أن يكون صالحاً، ينتفع المرء بصحبته ويقتبس من أخلاقه، ويأوي إليه في الشدائد، وقد قال -ﷺ-: "إنما

مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك -أي يعطيك- وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة"(١)، الحذر الحذر من رفقاء السوء، ومن لا همَّة لهم ولا طموح؛ لأن تأثير الصديق السيِّئ أخطر بكثير مما تظنون. لا تنظروا إلى الصديق على أنه مصدر للنفع، ولكن انظروا إليه على أنه مصدر للأنس والهداية والثواب من الله - تعالى- وأي شيء أعظم من أن يقول الله ؛تعالى يوم القيامة -كما في الحديث القدسي-: "أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم بظلّي يوم لا ظل إلا ظلي"(٢)

■ إن الذين يصلحون لأن يكونوا أصدقاء من الدرجة الممتازة هم دائماً قليلون وقليلون جداً، وذلك لعدد كبير من الأسباب، ولهذا يروى عن عمر – رضي الله عنه- أنه قال: "إذا أصاب أحدكم وداً من أخيه، فليتمسك به، فقلما يصيب ذلك". وشكوى الناس من قلة الأصدقاء تعود إلى أنهم يريدون الكثير من الأصدقاء المخلصين الصادقين، وهذا عسير للغاية. وأحياناً لا يعثر المرء على صديق ممتاز؛ لأنه هو أصلاً ليس شخصاً ممتازاً. وفي أحيان كثيرة يكون القيام بأعباء الصداقة الحقيقية متعذراً على بعض الناس، فيعمدون إلى تقليص عدد أصدقائهم.

■ أشعروا أصدقاءكم أنهم يستطيعون الاعتماد عليكم في الأزمات والشدائد، وأن يطلبوا منكم المعونة دون أي حرج، ومن غير أن يخافوا من المنّ، وأشعروهم أن ما يُسِرّون به إليكم يظل سراً مصوناً حتى لو ساءت العلاقة بينكم.

---

١. متفق عليه.

٢. رواه مسلم.

■ غضوا الطرف عن هفوات الأصدقاء، واستروا العيوب، وأقلّوا من اللوم، وما أجمل قول أحد الشعراء في هذا المعنى:

من لي بإنسان إذا أغضبته

وجهلت كان الحلم رد جوابه.

وقول آخر:

وإني لمحتاج إلى ظل صاحب

يروق ويصفو إن كدرت عليه.

■ من حق الصديق علينا أن ننصحه سراً، وأن نثني عليه أمام الآخرين، وأن نحمل كلامه على أجمل المحامل، ونقبل اعتذاره ....

■ كونوا أصدقاء جيدين، ولا تطلبوا من أصدقائكم أن يكونوا كذلك فانتظار المكافأة إخلال بمعنى الصداقة.

■ الصداقة أشبه بنبتة عزيزة تحتاج إلى سقاية ورعاية وحماية وإلا فقدناها.

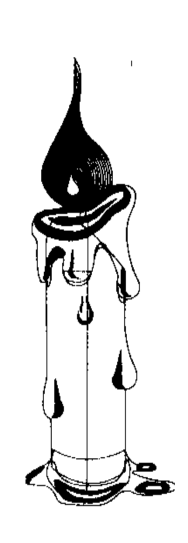
■ أخيراً أقول لكم يا بناتي، وأبنائي: إن هذه ليست أعباء ولا تكاليف ثقيلة، وأنتم ستأخذون ممن صادقتموهم مثل ما تعطونهم، وستنعمون بلفتاتهم الجملية مثلما ينعمون بلفتاتكم.

■■■■

الشمعة

26

"لا ترضوا بالقليل"



أنتم يا بناتي وأبنائي تجسدون –بإذن الله تعالى- مستقبل هذه الأمة، فإذا كنتم صالحين أقوياء بارعين جادين كانت الأمّة كذلك، وإن أمة الإسلام تسعى إلى استعادة دورها الإرشادي وإلى استعادة مكانتها بين الأمم، ولهذا فإنها في حاجة إلى جيل جديد متشبع بآداب الإسلام ومفعم بالآمال، قادر على العطاء وصابر على طول الطريق، وليس لطموحاته حدود .....

البداية أيها الأعزاء والعزيزات في تحرير النية والسعي في مراضي الله – تعالى- فالنية الصالحة تجعل الأعمال الصغيرة كبيرة، والنية السيئة تحوّل الأعمال الكبيرة إلى أعمال صغيرة. حين يتأكد الواحد منكم أنه يسير في الطريق الصحيح، فإن عليه ألّا يرضى بالقليل، ولو أنكم عرفتم الآمال العريضة والطموحات الكبرى التي كان يحملها عظماء هذه الأمة لأدركتم كيف تم تشييد الحضارة الإسلامية

العتيدة، وقد ذكروا أن هند بنت عتبة -رضي الله عنها- كانت تمشي في أحد طرقات مكة، وفي صحبتها ابنها معاوية وهو صبي، إذ قالت لها إحدى النساء: إن ابنك هذا سيسود قومه. فقالت هند: عدمته إن كان لن يسود إلا قومه! وقد ظل معاوية -رضي الله عنه- والياً على الشام عشرين سنة! ووالياً على عموم المسلمين عشرين سنة أخرى. وقد عبروا عن مديحهم للطموح العالي بتعبيرات كثيرة، منها ما هو شعر، ومنها ما هو نثر، ومن ذلك قول الجنيد: "ما طلب أحد شيئاً بجد وصدق إلا ناله، فإن لم ينله كله نال بعضه". ويقول ابن القيم: "علو الهمة من علامة كمال العقل، وإن الراضي بالدون دنيء".

وقال المتنبي:

وإذا كانت النفوس كباراً

تعبت في مرادها الأجسام

أصموا يا بناتي وأبنائي آذانكم عمن يقول: "ليس في الإمكان أبدع ممّا كان" وعمّن يقول: "ما ترك الأول للآخر شيئاً" فالساحة مليئة بالفرص العظيمة التي لم تكن موجودة من قبل. أنتم في حاجة إلى الطموحات الكبيرة حتى تستطيعوا استثمار أوقاتكم على النحو الأمثل، فالتجربة تدلنا على أن الوقت يتبدد سدى إذا لم نضغط عليه بآمال مستقبيلة. وإن طاقاتكم الكامنة وإمكاناتكم الهاجعة ستظل معطّلة ومهمّشة إذا لم تبعثوها وتستفزوها من خلال الأهداف الكبرى والمتألقة. هذه الحقائق هي موضع إجماع عالمي، ولا يصح غض الطرف عنها.

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟

إنه يعني الآتي:

1- حرروا نفوسكم باستمرار من الإحباط واليأس، ولا تسمعوا أبداً لكل أولئك الذين يزرعون فيكم الخوف، ويشدونكم نحو الخلف.

احلموا بالحصول على الأشياء في إطار مبادئكم وتعاليم دينكم، وأطلقوا العنان لأخليلتكم، ثم فكروا في السبل التي يمكن أن تسلكوها لبلوغ ما تحلمون به. وما أروع قول أحد الحكماء: "ليس الشباب بسواد الشعر ولا بنضارة البشرة، إنما الشباب بالارتقاء المستمر على مستوى العقل والروح وعلى مستوى الطموحات والتطلعات.

2- اكسروا رهبة الخطوة الأولى، وانتقلوا من التنظير والتخطيط إلى العمل والتنفيذ.

3- اصرفوا جزءاً من أوقاتكم في تطوير أنفسكم والاستفادة من الإمكانات التي بين أيديكم.

4- عوِّدوا أنفسكم النهوض بعد كل كبوة والانطلاق بعد كل عثرة، فطريق المجد مملوءة بالأشواك والأحجار.

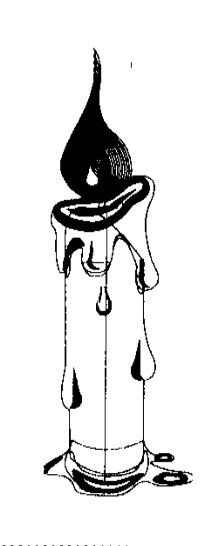
5- هموم الكبار وتطلعاتهم كبيرة وهموم الصغار صغيرة، وبعض الناس يملكون كل مقوّمات العظمة، لكنهم لم يصبحوا عظماء لا لشيء، سوى أن اهتماماتهم تافهة!.

■■■■

الشمعة

27

"ادخروا للشدائد أعمالاً مميزة"



نحن العباد يا أبنائي وبناتي ضعفاء مهما بلغنا من القوة، وفقراء إلى الله – تعالى- مهما بلغنا من الغنى، وعلينا أن نتصرف دائماً في إطار هذه المفاهيم، وإني أحب أن أهمس في آذانكم بنصيحة غالية، لا تُقدَّر بثمن، وهي أن يحرص كل واحد منكم على أن يكون لديه عمل خيري مميز شخصي وخاص بينه وبين الله تعالى- يرجو ثوابه ، ويدخره لأوقات المحن والشدائد، فيسأل الله – تعالى- به. وإن حسن الظن به –سبحانه- يدفع في اتجاه الثقة بالإجابة. تعرفون خبر[1] أولئك الثلاثة الذين أووا إلى غار، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت فم الغار، وقد أدركوا أن هذا الأمر من الله – تعالى- وأنهم لن يخرجوا إلا بمعونة الله، فأخذوا يسألون الله – تعالى- بأفضل أعمالهم، وكانت أعمالاً مميزة وعظيمة،

١. حديث رواه البخاري وغيره

وقد كانت النتيجة أن فرَّج الله عنهم ، وخرجوا سالمين. وتعرفون يا أبنائي وبناتي خبر[١] ذلك الرجل الذي كان يعمل في التجارة، فإذا رأى معسراً عاجزاً عن سداد ديونه له، قال لموظفيه: اتركوا ذلك الرجل، ولا تطالبوه بشيء، لعل الله – تعالى- يتجاوز عني، فتجاوز الله عنه، وغفر له. إذن العمل المميز هو عبارة عن رصيد احتياطي نسحب منه عند الحاجة، أو هيئة إسعافية، نستنجد بها عند الأزمات الكبرى، وحري بكل واحد منا أن يحرص على ذلك كل الحرص. ونحن يا أعزائي وعزيزاتي على مستوى الأمة والمجتمع والوطن نريد أن نكون رواد إصلاح ودعاة خير، وأن نكون دائماً مصدراً للعطاء والتضحية، وإن خير ما يمكن أن تقدموه لأهلكم وبلادكم هو المبادرات العظيمة والنماذج السلوكية الرفيعة، فالأمم لا ترتقي عن طريق الأفكار المجردة، وإنما عن طريق الصور والنماذج والقدرات .... إن الذي يقدم نماذج رفيعة أكثر يكون حبه لوطنه أكبر. وهذه بعض الأمثلة الشارحة لهذه الفكرة:

- هذه فتاة ترعى أرملة في حيها، ليس لها أحد يقضي حوائجها، فتخدمها، وتساعدها في بعض شؤونها، وتؤنسها، وتمنحها بعض المال عند الحاجة.
- شباب وفتيان يستيقظون يومياً قبل الفجر بساعة أو نصف ساعة، ليستغفروا ويصلوا .... ويوقظوا أهلهم إلى صلاة الفجر.
- هذا شاب يلتزم بصدقة يومية قليلة، لكنها مستمرة.
- هذه فتاة أخذت على نفسها عهداً بقول الحق والصدق في كلامها مهما كانت الظروف.

---

١. رواه البخاري وغيره.

■ هذا شاب يتعلم منه كل زملائه كيف تكون الدقة في الالتزام بالمواعيد ومراعاة العهود والمواثيق.

■ هذه فتاة تقدم نموذجاً نادراً في برّ الوالدين والشفقة عليهما.

ماذا يعني هذا بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟

إنه يعني الآتي:

1- لا تتمحوروا أبداً حول حسب أو نسب أو منصب أو مال، ليكن تمحوركم دائماً حول المبادئ التي تؤمنون بها والأعمال العظيمة التي تؤدونها.

2- احرصوا على إخفاء حسناتكم كما تحرصون على إخفاء عيوبكم.

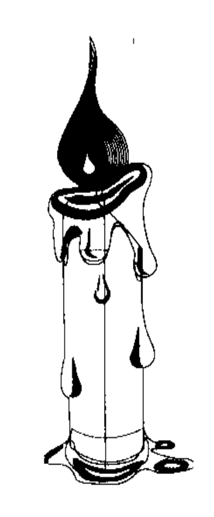
3- أبدعوا في البحث عن العمل المميز الذي يمكن أن تقوموا به، حتى يغتني المجتمع بألوان السمو الخلقي والسلوكي.

■ ■ ■ ■

الشمعة

28

"أكبر نقطة ضعف"



حتى يتم إنجاز عمل من الأعمال فنحن في حاجة إلى أمرين: إرادة وقدرة. وإذا تساءلنا: أيهما أهم لنجاح الأعمال: القدرة أو الإدارة؟ فسأقول بدون أي تردد: الإرادة أهم. لماذا؟ لأن الإنسان حين يريد الحصول على شيء فإن إرادته تدفعه في طريق توفير أسبابه وأدواته، تماماً مثل الجائع الذي لا يملك قوت يومه، فإن رغبته الشديدة في الطعام وإرادته القوية في الحصول عليه سوف يدفعانه في اتجاه البحث الحثيث عنه واختراع ألف حيلة وحيلة من أجل ذلك. مع الإرادة القوية يمكن أن يحصل العاجز على قدرة ما، وأن يتعلم الجاهل شيئاً مما يحتاج إليه، ويمكن اختراع شيء عظيم من شيء تافه .... لكن إذا فُقِدت الإرادة، فلن يكون لدينا أي شيء. تصوروا معي يا بناتي وأبنائي رجلاً يعاني من مرض عضال، وإلى جوار بيته أفضل مستشفى وأفضل خدمة طبية مجانية، لكنه يرفض الذهاب

إلى المستشفى لسبب من الأسباب، إن كل تلك الإمكانات الطبية تصبح بالنسبة إليه غير ذات معنى؛ لأنه يفقد إرادة التداوي. وأود هنا أن أشير إلى ثلاث نقاط مهمة:

1- إذا تأملتم أيها الأعزاء والعزيزات في التفاوت الماثل بين البشر على صعيد الاستقامة والفلاح والإنجاز، فإنكم ستجدون أنه متولد –على نحو جوهري- من تفاوت الإرادات والعزائم، وليس من تفاوت القدرات. الشاب محمود قادر على أن يقرأ كل يوم ساعة، وقادر على الذهاب إلى المسجد خمسة أوقات في اليوم، وقادر على أن يبادر بإلقاء السلام على من يقابله في الطريق، لكنه لا يفعل شيئاً من ذلك، على حين أن الشاب (أحمد) يفعل كل ذلك يومياً؛ لأنه يملك إلى جانب القدرةِ الإرادةَ وهكذا ....

2- إن من رحمة الله – تعالى- بنا أبنائي وبناتي أن تقوية الإرادة – والتي تشكل شيئاً حاسماً في تقدمنا- ممكنة دائماً ولكل البشر، فهي من هدايا الرحمن لنا عامة وللفقراء، والضعفاء خاصة. أما تنمية القدرات فإنها غير متيسرة لكثير من الناس بسبب سوء ظروفهم. ولهذا فإن إعراض كثير من الشباب وقعودهم عن طلب المعالي يعد شيئاً لا مسوِّغ له.

3- نحن كثيراً ما نخلط بين القدرة والإرادة، فنقول: إننا لا نستطيع فعل كذا وكذا ..... والحقيقة أننا لا نريده، ولكن نستحي من أن نقول: لا نريد، فنقول: لا نستطيع. حين تخلف المنافقون عن غزوة تبوك اعتذروا بعدم الاستطاعة حيث قالوا – كما أخبر الله؛ تعالى عنهم- : "وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا

معكم يُهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون"[١]

ثم أخبر – سبحانه- أن المسألة ليست مسألة قدرة، وإنما مسألة إرادة، يقول –عز وجل-: "ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة"[٢] تعالوا يا بناتي وأبنائي حتى يتأمل كل واحد منا في أوضاعه وشؤونه ليرى هل مشكلة تقصيره تعود إلى ضعف إرادته أو ضعف قدرته، وأنا واثق أن النظر الموضوعي العميق سينتهي بنا إلى الاعتقاد بأن معظم قصورنا يعود إلى ترهل إراداتنا.

السؤال الذي من حقكم طرحه الآن هو: ما السبيل إلى تقوية الإرادة؟

والجواب يتلخص على نحو موجز في الآتي:

1- نحن في حاجة ماسة إلى معونة الله – تعالى- كي ننتصر على أنفسنا وشهواتنا وعاداتنا السيِّئة، وإن خير ما نستنزل به تلك المعونة هو مجاهدة النفس، يقول – سبحانه-: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبلنا"[٣]. وقال: "وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا"[٤]. كل الحلول من غير مجاهدة للنفس هي حلول غير صالحة وغير مجدية.

2- ليردد الواحد منا في نفسه العبارات الدالة على قوة الإرادة مثل: أنا أحب الخير لفلان، وأنا عازم على مساعدته. أنا مصمم على أداء صلاة الفجر في المسجد، وهذا سيكون بإذن الله - تعالى- إرادتي ليست ضعيفة، بل هي قوية وقوية جداً ....

١. سورة التوبة: ٤٢.

٢. سورة التوبة: ٤٦.

٣. سورة العنكبوت: ٦٩.

٤. سورة السجدة: ٢٤.

3- لابد لتقوية (الإرادة) من التدرج، من خلال إلزام النفس بتنفيذ أشياء صغيرة ومحدودة، فإذا صارت جزءاً من سلوكاتنا أضفنا إليها أشياء صغيرة أخرى، مثلاً إذا لم يكن أحدكم يقرأ في اليوم أي شيء، فليلزم نفسه بالقراءة عشرين دقيقة كل يوم مدة سنة، وفي السنة الثانية يلزم نفسه بقراءة أربعين دقيقة كل يوم وهكذا.....

4- حاول أن تحرم نفسك من بعض الأشياء التي تحبها في سبيل إثبات وجودك أمامها، فإذا حدثتك بترك العمل لتشرب كأساً من الشاي أو العصير، أو لتتحدث مع فلان من الناس حديثاً غير ضروري، فأخر طلبها ساعة. وإذا حدثتك بالخروج من المسجد مسرعاً لتشتري شيئاً غير ملح، ولا حاجة بك إليه، فارفض طلبها قطعياً، وذلك حتى تشعر بأنك تستطيع السيطرة فعلاً على نفسك.

5- حاول كلما تخلصت من عادة سيئة أو شيء محرم أن تُحِلَّ محله عادة حسنة، أو شيئاً نافعاً، فإذا كنت تكثر من الشكوى للناس فتخلص من ذلك، وأحل محله الثناء على الله على نحو مكثف في سرك وعلانيتك. وإن على الذي ينام أكثر ممّا يحتاج إليه جسمه، أن يتخلص من تلك الزيادة، ويستثمر الوقت المتوفر في شيء مفيد.

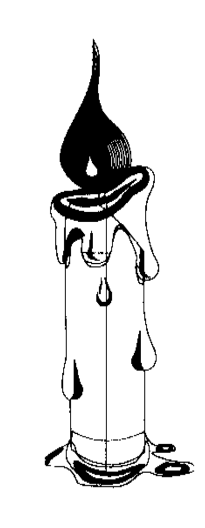
6- صاحب أشخاصاً معروفين بصلابة الإرادة وقوة العزيمة، فإنك تقتبس من أرواحهم وعزائمهم دون أن تشعر، وحاول أن تتعلم منهم كيفية مقاومة الرغبات.



الشمعة

29

"القراءة طريق النضج"



إن أول كلمة نزل بها جبريل على نبينا ﷺ هي (إقرأ) ممّا يدل على أن القراءة والبحث والاطلاع تشكّل شيئاً مهماً في بداية قيام الأمة، وتشكّل الوقود الحي لاستمرارها.

بناتي العزيزات أبنائي الأعزاء، هل تريدون لعقولكم أن تصبح منفتحة، وهل تريدون لرؤيتكم للأشياء أن تصبح واضحة، وهل تريدون مجالسة أعظم عباقرة الأمم عبر التاريخ، وهل تريدون الاطلاع على حكمة عصور بأكملها؟.... إذا كنتم تريدون ذلك وأكثر منه، فعليكم بالقراءة. نصيحتي لكم: لا تخطفكم وسائل الإعلام من الكتاب، فأنتم حين تقرأون تهدفون إلى الحصول على شيء ينفعكم، لكن حين تجلسون أمام التلفاز، فإنكم ترون ما ينفعكم وما يضركم، وما يحل وما لا يحل، وعليكم أن تدركوا أن مصداقية ما نقرؤه ونطلع عليه أعلى من مصداقية ما

نسمعه، وأن قراءة كتاب قد تكون في بعض الأحيان أنفع لكم من مجالسة صاحبه، ولا أريد شرح هذه الآن، لكن أقول لكم: ابذلوا جهداً في اختيار الكتاب الملائم لكم فعلاً، فالكتاب مثل الثوب يستمد كثيراً من جودته ليس من جودة قماشه، وإنما من مدى ملاءمته لجسم لابسه. حين يشتري الواحد منكم كتاباً رديئاً، أو غير ملائم لاهتماماته وحاجاته ومستواه الثقافي، فإنه يخسر ماله، ويخسر وقتاً عزيزاً، ينفقه في قراءته دون فائدة تذكر. وإذا خُيّر أحدكم بين كتاب سهل سلس، يستوعبه قارئه من غير مشقة وبين كتاب فيه شيء من الصعوبة، وتحتاج قراءته إلى شيء من التركيز والأناة، فإن عليه ألا يتردد في اختيار الثاني، وهذا ما أفعله أنا شخصياً في اختياري للكتب، لماذا نفعل ذلك؟ لأننا نريد من الكتاب أن يرتقي بنا في عالم المعرفة، ولا يمكنه الارتقاء بنا إلا إذا كان أعلى من مستوانا قليلاً. لا تفرحوا يا بناتي وأبنائي بقراءة الكتب السهلة؛ لأن المرء حين يقرأ لا يفهم إلا ما يعرف، فإذا فهمتم ما تقرأونه، فهذا يعني أنكم تعرفونه، ويكون دور الكتاب هو التذكير ليس أكثر. احرصوا على قراءة الكتاب بطريقة جيدة، احرثوه حرثا، وضعوا خطوطاً تحت العبارات المهمة، أو انقلوها إلى أوراقكم، حاولوا استنفاد كل ما في الكتاب، وفكروا فيما تقرأونه؛ لأنه لا يصبح ملكاً لكم إلا من خلال التفكير فيه. نحن لا نشكو من ندرة الكتب الممتازة، وإنما نشكو من ندرة القراء الممتازين، وإن القارئ الجيد ليس هو الذي يقرأ كتباً كثيرة، ولكنه إذا قرأ كتاباً قرأه بطريقة جيدة. وقد كان العقاد –رحمه الله– يقول: "اقرأ كتاباً جيداً ثلاث مرات، فذلك أنفع لك من قراءة ثلاثة كتب جيدة".

إن الواحد منكم أيها الأعزاء والعزيزات إذا قرأ كل يوم ربع ساعة، فإنه يضمن

لنفسه قراءة عشرين كتاباً متوسطاً في العام، وهذا ليس بالقليل. وإن الواحد منكم لو قرأ في أي علم من العلوم كل يوم نصف ساعة، فإنه يصبح بعد خمس سنوات أستاذاً في ذلك العلم.

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى بناتي وأبنائي؟

إنه يعني الأتي:

1- اقتطعوا جزءاً من مصروفكم الشهري من أجل شراء الكتب وبناء مكتبة صغيرة في المنزل.

2- مطلوب من كل واحد منكم أن يخصص ساعة من كل يوم –على الأقل- للقراءة المدققة والمتأنية.

3- اقرأوا للمبدعين والكتّاب الجيدين حتى تحصلوا على أكبر قدر ممكن من المعرفة الموثوقة والجديدة.

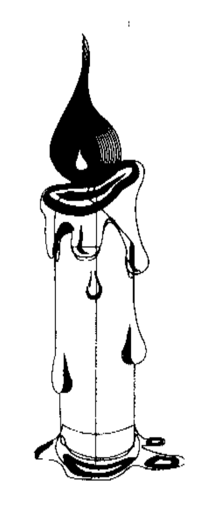
4- إذا نظم الإنسان وقته على نحو جيد، فإنه سيجد لديه فراغاً كبيراً يملؤه بالقراءة والاطلاع.

■■■■

الشمعة

30

"المثابرة تصنع العجائب"



لو تصفحتم يا أبنائي وبناتي سير عظماء الرجال وعظيمات النساء، لوجدتم أنهم يشتركون في عدد من الصفات والعادات الحسنة، وهي التي جعلتهم عظماء ومتميزين، وستجدون من بين تلك الصفات (المثابرة) والقدرة على الاستمرار في العمل؛ وذلك لأن الأعمال الصغيرة حين تستمر تتراكم، وتتحول إلى أعمال عملاقة، وكلكم يعرف ما تفعله قطرات الماء الواهية في الحجر الأصم، إنها مع الاستمرار تحفر فيه الأخاديد، وتغير شكله. إن كثيراً من عمل الشيطان يتركز في حرماننا من الاستمرار في الأعمال الصالحة والنافعة وصرفنا إلى التسلية أو عمل ما لا خير فيه، وقد أمر الله – تعالى- نبيه ﷺ بأن يلتزم العبادة إلى آخر لحظة في حياته حيث قال – سبحانه-: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾[1].

1. سورة الحجر: ٩٩

وقال ﷺ : "من نام عن حزبه من الليل أو عن شيء منه، فقرأه ما بين صلاة الفجر إلى صلاة الظهر كتب الله له كأنما قرأه من الليل"[١]. إن المسلم يحرص على أداء ما التزم به من التنفل والتطوع في ليله، فإن فاته شيء لأي عارض، فإنه يبادر إلى قراءته وأدائه في الشطر الأول من النهار، ليعلن بذلك أنه لم يُهْزم، ولم يتراجع، وأنه قادر على استدراك ما فاته في أقرب وقت. وفي سياق التحذير من النكوص والتراجع وفقد الاستمرار على صعيد العبادة يذكر عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال له: "يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل، فترك قيام الليل"[٢].

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟

إنه يعني الآتي:

1- عوِّدوا أنفسكم طلب المعونة من الله – تعالى- في كل شأن من شؤونكم.

2- على كل واحد منكم أن يرتب على نفسه مهمات يومية على صعيد العبادة والقراءة وإنجاز بعض الأعمال النافعة، وليحاول أن يكون ما يلتزم به ضمن طاقته وقدرته، وليحذر من الإكثار حتى لا يقع في العجز والسأم، وحتى لا يجد في نفسه مسوغاً للانقطاع.

3- حاولوا مصاحبة ذوي الهمم العالية وأهل الاستقامة والثبات حتى تقتبسوا من عزائمهم.

4- قاوموا وساوس الشيطان لكم بالانقطاع عن العمل، وجاهدوا أنفسكم في ذلك.

١. رواه مسلم.

٢. متفق عليه.

5- التزموا بقضاء ما يفوتكم من ساعات القراءة والعمل التطوعي وذلك من باب تربية النفس وحملها على العزائم.

6- رتبوا على أنفسكم بعض العقوبات الشخصية حين تقصرون في أداء ما أنتم ملتزمون به، كأن يقرأ الواحد منكم مدة ساعة ونصف مقابل إهماله في القراءة مدة ساعة.

7- اقرأوا في تراجم بعض الذين حققوا إنجازات كبيرة لتتعلموا منهم الآليات التي مكنتهم من الارتقاء إلى القمة.

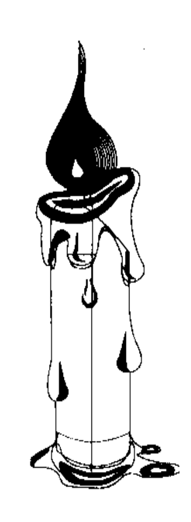
8- لا تتحدثوا عن قرباتكم إلى الله – تعالى- أمام الناس حتى تحصنوا أنفسكم من الرياء.

■■■■

الشمعة

31

"أعظم الفنون"



الدماغ أعظم ما وهبه الله – تعالى- لبني آدم بعد نعمة الإيمان، لكنهم لا يستفيدون منه على الوجه الصحيح، فقد دلت بحوث كثيرة في مجالات مختلفة على أن العقل البشري لم يستخدم إلا في حدود (1%) من طاقته الحقيقية. ومن هنا فإنه يمكن القول: إن فن التفكير هو أرقى الفنون على الإطلاق وأجداها على البشر؛ وذلك لأننا من خلاله نبني اتجاهاتنا، ونبدع ونخترع، ونكتشف عيوبنا ووجوه قصورنا ... من المؤسف يا بناتي وأبنائي أننا لا نمارس التفكير المثمر إلا عند الضرورة، وإذا مارسناه مارسناه عند الحد الأدنى؛ وذلك بسبب صعوبته، وبسبب عدم تدربنا عليه في الصغر. أنا هنا لا أستطيع أن أشرح لكم كثيراً عن (فن التفكير)، لكن يمكن أن أقدم إليكم بعض الملاحظات المهمة والمفيدة –إن شاء الله- في بعض ما يتصل به:

1- إن عقولنا تشتغل على المعلومات التي لدينا، فإذا كانت جيدة وموثوقة، فإنه يمكن لأحكامنا وتصوراتنا وآرائنا أن تكون صحيحة أو قريبة من الصحة. أما إذا كانت مشوهة أو مكذوبة، فإن نتائج تفكيرنا ستكون غالباً خاطئة، تماماً كما لو قيل لك إن الدراسة في الجامعة الفلانية سهلة جداً، ففكرت في أمرك ورسمت خططك المستقبلية، وقد سجلت فيها بناء على ذلك، ثم تبينّ لك أنها صعبة جداً، ولا تستطيع أثناء الدراسة فيها ممارسة أي عمل آخر، لاشك أنك سوف تفاجأ، وتصاب بالإحباط، ويدخل الاضطراب على كل ما خططت له؛ ولهذا شدد القرآن الكريم على مسألة الصدق والأمانة في نقل الأخبار، كما أوصى بالدقة في التعبير عن الوقائع، كما هو معروف.

حاولوا دائماً أن تفكروا في مدى صواب ما تقرأون وما تسمعون قبل أن تسمحوا له بالتسرب إلى عقولكم. أنتم تسمعون وتحفظون الكثير، ولكن انتبهوا إلى أننا لا نريد لعقولكم أن تتحول من عقول فارغة من المعلومات إلى عقول (ممتلئة) وإنما نريد أن تتحول إلى عقول (منفتحة) تمارس الملاحظة والتحليل والنقد وتكشف عن العلاقات والارتباطات بين الأشياء، وهذا يا أبنائي وبناتي ممكن من خلال الاهتمام وطرح الأسئلة الذكية: لماذا يبدو زميلي فلان مسروراً على نحو دائم مع أنه فقير جداً؟! ما الأسلوب الأمثل للاستفادة من أساتذتي؟ ما الأولويات التي علي أن أراعيها خلال هذا الشهر؟ كيف يكون في إمكاني إدخال السرور والرضا على قلب والدتي رغم حزنها الشديد بسبب فقد أخي؟ .....

2- حين يريد أحدكم الإقدام على شيء مهم مثل اتخاذ قرار الزواج من فتاة معينة أو اختيار نوعية التخصص في الجامعة ..... فإن عليه أن يقوم بعملية (عصف

ذهني) على انفراد أو بمشاركة بعض الزملاء – وهذا أفضل- حول ما يريد اتخاذ قرار فيه: ما ميزات ذلك التخصص؟ وهل أنا مؤهل للدراسة فيه؟ وهل سأجد فرصة جيدة للعمل بعد الانتهاء منه؟ ما العقبات التي يمكن أن تواجهني أثناء دراستي؟ هل فعلاً هذا أنسب تخصص وأفضل تخصص أسعى للدراسة فيه؟ وهكذا .... ولا يصح القيام بنقد الأقوال التي تطرح أثناء عملية العصف الذهني، وتكون كل الأفكار المعروضة مقبولة –مهما كانت تافهة- وموضع ترحيب، وبعد الانتهاء تتم غربلة ما تم طرحه من أجل فرز واستبعاد الأفكار الضعيفة وغير المنطقية.

3- في حياة كل واحد منكم قضايا مصيرية وكبيرة، وهي تحتاج إلى أن تتخذوا فيها قرارات حاسمة ومهمة، وإن عليكم أن تعطوها حقها من التمحص والتفكير والمشاورة .... القرار الكبير هو ذلك القرار الذي يؤثر على نحو كبير في حياة صاحبه وفي حياة أسرته أيضاً؛ وذلك مثل القرارات المتعلقة بالزواج والدراسة وانتقال السكن من القرية إلى المدينة ومثل السفر إلى بلد بعيد لمدة طويلة جداً، ومثل إقامة مشروع كبير، يضع المرء فيه كل أمواله.... لدينا شيئان خطيران على هذا الصعيد هما العجلة وعدم الاكتراث، بمعنى عدم القيام بالدراسة الكافية قبل اتخاذ القرار.

4- استخدموا في تفكيركم المنطق والاستدلال والبراهين المجردة، واستخدموا التجارب والوقائع المماثلة في حياتكم، واستخدموا حواسكم، أي القوى غير الواعية لديكم، فإن لديها الكثير ممّا تقوله لكم، وقد قال ﷺ: "البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن

أفتاك الناس وأفتوك"[١].

5- فكروا فيما تقرأونه، وحاولوا مناقشة الكاتب في بعض ما كتبه، فالكاتب في النهاية بشر يخطئ ويصيب، وقد يتبع هواه، وإن الشاب الفطن والفتاة النجيبة يعرفان كيف يقيمان للكتاب ما يشبه المحاكمة، وذلك من أجل الإضافة إلى المعرفة

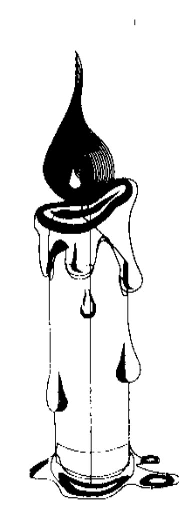
■■■■

(١) رواه مسلم.

الشمعة

32

"الرحمة فوق القوة"



أرسل الله – تعالى- محمداً ﷺ رحمة للعالمين، وهذا يتطلب من كل مسلم أن يتأسى بنبيه حتى يسود أجواءنا الاجتماعية التعاطف والتراحم والشفقة والبر، وقد قبل رسول الله ﷺ سبطه الحسن وعنده الأقرع بن حابس، جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه الرسول وقال: "من لا يَرْحَم لا يُرْحَم"[1].

إن العولمة يا أبنائي وبناتي تنشر اليوم روح القوة وأخلاقيات السيطرة والمنافسة، وأنتم تلاحظون هذا من خلال الدورات التدريبية الكثيرة التي يلتحق بها الشباب ومن خلال الإعلانات التجارية التي تفوق الحصر، ومن خلال الأحاديث التي نتداولها في المجالس. لا شك في أن أمة الإسلام في حاجة اليوم إلى أكبر عدد

١. رواه البخاري.

ممكن من الأقوياء والناجحين والمتفوقين، لكن لا يجوز أبداً أن يتضخم ذلك على حساب الرحمة والإحساس بمن حولنا، فالرحمة تتصل بالعطاء والبذل والإحسان على حين أن القوة تتصل بالأخذ والاستحواذ والغلبة والسيطرة، ومن المهم أن ندرك ذلك على نحو جيد.

نحن يا أبنائي وبناتي حين نعطف على الفقير والضعيف والمعوق وذي الحاجة واليتيم، فإننا نصبح قريبين من الله – تعالى- وقد قال –عليه الصلاة والسلام- : "ابغوني – أي أحضروا لي- الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم"[١].

ماذا يعني هذا بالنسبة إلى بناتي وأبنائي؟

إنه يعني الآتي:

1- على كل واحد منا أن يحذر من أن يغترّ بقوته أو ثروته أو منصبه ... فيتحول إلى متكبر جبار، لا يعرف للرحمة معنى، فيعرِّض نفسه لعذاب الله – تعالى- فقد قال ﷺ : "ألاّ أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره. ألاّ أخبركم بأهل النار؟ كل عُتلّ جواظ متكبر"[٢].

2- تجاوبوا مع المشاعر الحزينة، وأظهروا التأثر والاهتمام بما تسمعونه وترونه من فواجع زملائكم وجيرانكم وإخوانكم المسلمين، وتعاطفوا معهم وساعدوهم.

3- ارحموا الخدم، ودربوا أنفسكم على غض الطرف عن هفواتهم، وليتخيل كل واحد منكم ما الذي يتوقعه من البر والرحمة لو كان في مثل حالهم، فليقدمه لهم.

4- لا تشمتوا بالعصاة والمذنبين، ولكن أشفقوا عليهم وارحموهم وانصحوهم،

---

١. رواه أبو داود.

٢. متفق عليه.

وحاولوا أن تأخذوا بأيديهم إلى طريق الهداية.

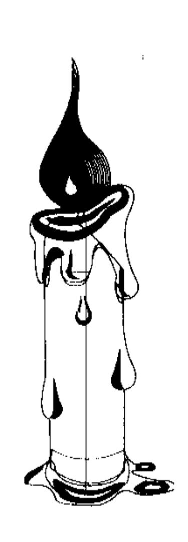
5- أحق الخلق بالرحمة هو نفوسنا، ورحمتنا لها بأن نحاول إعتاقها من عذاب الله – تعالى- من خلال الاستقامة والعمل الصالح، كما أن علينا أن نرحمها من خلال ترك توبيخها على نحو دائم، إذ ليس من الصواب أن نمارس الجلد الذاتي بسبب ومن غير سبب، بل على الواحد منا أن يراجع أعماله، فيحمد الله، ويشجع نفسه، ويتفاءل تارة، ويلوم نفسه، ويعزم على الكف عن الخطأ والمعصية تارة أخرى.

■■■■

الشمعة

33

"حصّنوا أنفسكم من الخوف"



نحن لا نرى إلا جزءاً من الواقع وتفاعلاته، كما أن المصادر التي يمكن أن تأتينا منها الأخطار والمنغّصات كثيرة، وإن حاجة الإنسان إلى الأمن والطمأنينة والسلام، لا تقل عن حاجته إلى الأكل والشرب، فكيف يمكن لأبنائي وبناتي أن يشعروا بالأمن، ويطردوا عن أنفسهم الخوف والقلق المزعج والمعوق؟.

لعلي ألمس ذلك عبر المفردات الآتية:

- يخبرنا الله – تعالى- في العديد من الآيات أن الإيمان والعمل الصالح يوفران المظلة الأمنية التي نحتاج إليها في الدنيا والآخرة، حيث يقول – عز وجل-: ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدىً فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[1]. ويقول – سبحانه- : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم

١. سورة البقرة: ٣٨.

استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون. نزلاً من غفور رحيم﴾ [١]. وقال – عز وجل-: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ [٢]. وإن عمل السيئات مدعاة إلى سلب الأمن، كما قال – سبحانه-: ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ [٣]. إن الشرك بالله – تعالى– وعقوق الوالدين والبغي وظلم الناس هي أكبر مصادر التهديد لأمن الواحد منا؛ وإن الإيمان والإحسان إلى الخلق والصدقة والعدل هي أوسع أبواب الأمان والسكينة والرحمة، فاحرصوا يا أبنائي على أن تبددوا الخوف بالطاعة والاستقامة على أمر الله؛ تعالى.

1- يظل قدر من الخوف من الهزيمة والإخفاق شيئاً جيداً مادام يولِّد لديكم الشعور بالمسؤولية، ويحفزكم على العمل والإتقان والمثابرة. فإذا صار عبارة عن همّ ليس أكثر صار شيئاً سيئاً ومؤذياً، فهل هذا واضح؟

2- لننظر إلى الحياة الدنيا على أنها ليست داراً للهناء التام والنجاح المستمر والعافية الدائمة.... إن فيها المسرات والمكدِّرات بأنواعها، وإن علينا أن لا نشغل بالنا بما يمكن أن يحدث لنا من مصائب وكربات، فإن هذا من الإخفاق في إدارة المشاعر، ومن باب استعجال الخوف من غير أي مسوغ.

---

(١) سورة فصلت: ٣٠ ـ ٣٢.

(٢) سورة الأنعام: ٨٢.

(٣) سورة النحل: ١١٢.

3- تذكروا دائماً أن الله – تعالى- ينزل من المعونة والصبر على مقدار ما ينزل من الشدة والبلاء، ولهذا فلنفوض أمورنا إلى الله، وسنكتشف أنه لا داعي للجزع ممّا يحدث في المستقبل.

4- لزوم الحق والصواب والابتعاد عن الكذب والغش والخداع والتقصير في أداء الواجبات المختلفة .... من الأمور الضرورية للشعور بالأمن والتخلص من الخوف.

5- الغموض والشك والخرافة والجهل مصادر مهمة للخوف، ووقاية النفس منها تكون عن طريق العلم والمعرفة والفهم والحرص على الوضوح.

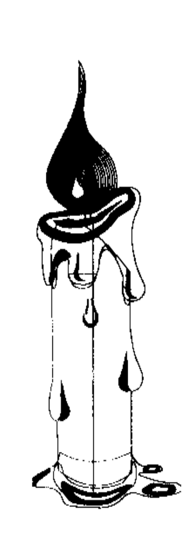
6- عوّدوا أنفسكم الدخول في شيء من المجازفات ذات المخاطر القليلة؛ لأن ذلك يؤكد لديكم الثقة بالنفس، ويطرد المخاوف التي تتولد من الركود وحشر النفس في الزاوية الضيقة، وما أجمل قول أحدهم: "إن الجبناء يموتون مرات عديدة قبل موتهم الحقيقي، والشجاع لا يذوق طعم الموت إلا مرة واحدة"!.

■■■■

الشمعة

34

"عيشوا زمانكم"



لو تأملنا يا أبنائي وبناتي في حياة الآباء والأجداد، وتأملنا في حياتنا اليوم لوجدنا أن هناك دائماً الأخيار والأشـرار، الجادين والهازلين، الذين يعطون والذين يأخذون ... أن تعيشوا زمانكم يعني أن تفهموا عقله وروحه، ثم تحاولوا الانسجام مع أفضل ما فيه، وأحسن ما يمتلكه أهله. قال أحد الحكماء مرة: "إذا لم تكن لك روح عصر كانت لك كل شروره". وهذا صحيح ودقيق، فإذا كان الواحد منا جاهلاً بين جهال وفوضوياً بين فوضويين وفقيراً بين فقراء وضعيفاً بين ضعفاء، فالمشكلة ليست كبيرة، لكن المشكلة الكبرى أيها الأعزاء والعزيزات أن يكون المرء جاهلاً بين علماء وضعيفاً بين أقوياء ..... أتعرفون ماذا يحدث حينئذ؟

إن الذي يحدث هو أن تُحلّ مشكلات كل من حوله على حسابه، وهذه سنة من سنن الله – تعالى– في الخلق. قد تقولون: ما روح عصرنا التي علينا أن نمتلكها أو



نتفهمها، أو نتكيف معها؟

وأقول: إن روح عصرنا تتمثل في الآتي:

1- القيم والمثل التي تشكل مضمون الاستقامة الفردية والاجتماعية، وذلك مثل الصدق والأمانة والدقة والتعاون وتفهم ظروف الآخرين والمثابرة والانفتاح.

2- امتلاك دوافع قوية توجه سلوك الواحد منكم نحو المعالي، وتجعله صاحب رسالة، يريد إيصالها للناس وصاحب رؤية وطموحات كبيرة يود أن يراها محققة.

3- أهداف محددة وواضحة لها برنامج يومي، تجعل صاحبها يشعر بأنه يتقدم نحوها باستمرار.

4- التعلم الجيد، وهذا يكون من خلال الالتحاق بمدارس وجامعات جيدة مع محاولة التفوق فيها، كما أنه يكون من خلال اهتمام الشاب والفتاة بفرع من فروع المعرفة إلى درجة النبوغ الواضح فيه.

5- تنظيم الشأن الشخصي والاستفادة القصوى من الوقت والتزام الدقة في المواعيد إلى جانب الحرص على طاعة النظم والقوانين السارية ممّا يحقق المصلحة العامة، ويساعد على وضوح الواجبات وحفظ الحقوق.

الروح التي تجسدها هذه القيم والمعاني والمفاهيم هي الروح التي يتمتع بها أهل النفوذ والريادة والقيادة وهي الروح التي يحتاجها أبناؤنا وبناتنا كي يعيشوا زمانهم بكفاءة واستقامة. ولا يخفى عليكم أن كل القيم .... التي أشرت إليها هي في الأصل قيم إسلامية لقيت الإهمال من كثير من المسلمين مع الأسف الشديد! من يفقد الروح التي أشرت إليها قد يحرز نصراً سريعاً في مجال من المجالات،

لكن ذلك لا يدوم، وقد لا يكون مشروعاً، فيصبح وبالاً على صاحبه!.

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟

إنه يعني الآتي:

1- عصرنا هذا مملوء بالفرص والتحديات، وحتى تتمكنوا من مواجهة تحدياته، فإن عليكم أن تستثمروا فرصه.

2- الجدارة والكفاءة والاستقامة والتفتح الذهني مفردات أساسية في قاموس هذا العصر.

3- احذرو الفهم الخاطئ للمعاصرة، والذي يدفع الكثير من الشباب والفتيات إلى التحلل الخلقي، ويضعهم على طريق الضياع الشامل.

4- لا ترضوا أبداً ان تكونوا أشخاصاً عاديين، وابحثوا عن الريادة والتفوق وتقدم الصفوف من خلال الالتزام بما سبق الإرشاد إليه.

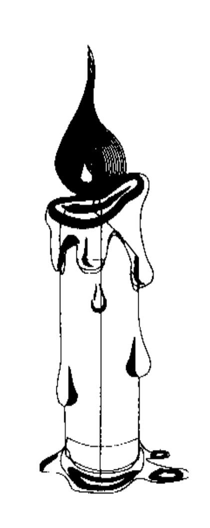
والله يتولانا وإياكم بلطفه وكرمه.



الشمعة

35

"تقبلوا الاختلاف"



جرت عادة الناس بالإلحاح على التوافق والانسجام؛ لأنهم يعرفون أن الخلاف موحش، وقد يؤدي إلى صراعات مريرة؛ وهذا حق، لكن من عادة الناس أيضاً أن يطلب كل واحد منهم من غيره أن يوافقه، وينسجم معه، وينسى أن عليه أن يطلب من نفسه مثل ذلك!

أنتم يا بناتي وأبنائي تعيشون في زمان كل شيء فيه إلى اتساع وتنوع، وأنتم تلاحظون أن الخيارات على كل صعيد باتت كثيرة جداً، وإن من شأن هذا أن يجعل دوائر الخلاف أوسع بكثير مّما كان عليه الأمر في الماضي، وهذا يتطلب منا أن نفهم مسائل الاتفاق والاختلاف على وجه حسن. ولعل مّما يفيد في ذلك الآتي:

- الاختلاف سنة من سنن الله – تعالى- في الخلق وهذا ما نفهمه من قول الله – تعالى-: "ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في

ذلك لآيات للعالمين"[1]. وقال –عز وجل-: "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم"[2]. روي عن بعض أهل العلم أنهم قالوا في تفسير هذه الآية: "ولذلك خلقهم" أي للرحمة والاختلاف، فمن شأن الله – تعالى- الرحمة بعباده، ومن شأن عباده الاختلاف فيما بينهم. وما أجمل قوله ﷺ : "تجدون الناس كإبل مئة لا يجد الرجل فيها راحلة"[3]. فقد يكون لدى المرء مئة ناقة، ثم لا يجد بينها واحدة، تتوفر فيها كل الصفات التي تجعل منها المركب الهنيء والمفضل للأسفار، وهكذا فقد يبحث الواحد منا بين المئة والمئتين من المعارف والزملاء، فلا يجد شخصاً واحداً يوافقه تمام الموافقة في أفكاره وعواطفه وأمزجته ....

■ اختلاف عقولنا ونفوسنا وأهوائنا أشبه باختلاف وجوهنا، حيث إن من النادر أن تجد وجهين متفقين في كل التفاصيل والملامح، ولكن على مستوى التقسيمات العامة فإن في كل وجه خدين وعينين وحاجبين وجبيناً وأنفاً وفماً وذقناً، وهكذا يا أبنائي وبناتي الناس تجمعهم أمور وعامة، وتفرقهم التفاصيل الصغيرة، وينبغي أن نتقبل هذه الوضعية على ما هي عليه.

■ فطر الله – تعالى- الناس على طبائع مختلفة، فمنهم من يميل إلى التفاؤل، ومنهم من يميل إلى التشاؤم وسوء الظن، ومنهم من هو صابر وهادئ وحليم، ومنهم من هو غضوب ملول ضيق الصدر .... وهذا يؤدي إلى كثير من الاحتكاك اليومي وكثير من النزاع.

....

١. سورة الروم: ٢٢.

٢. سورة هود: ١١٨.

٣. رواه مسلم.

■ من الناس يا أبنائي وبناتي من نشأ في أسرة تعامل أبناءها بالرفق واللين والتدليل، ولهذا فإنهم يظنون أن الحياة رخية، وأن الناس كلهم طيبون. ومنهم من نشأ في أسرة يسودها الظلم: ظلم الأب أو زوج الأم أو زوجة الأب ... ولهذا فإنه ينظر إلى العالم بمنظار أسود، ويسيء الظن بكل من يقابله.

ما الذي يعنيه كل هذا بالنسبة إلى بناتي وأبنائي؟

إنه يعني الآتي:

1- لا ينظر أحدكم إلى نفسه على أنه الأصل في كل شيء، ولذا فليس على الآخرين سوى أن يكونوا صورة عنه. لدى كل الناس ما يُمدَح، وما يُذَم، ولديهم ما هو صواب، وما هو خطأ.

2- حاولوا فهم وجهات نظر الآخرين وخلفياتهم وظروفهم، واتخذوا من الإعذار والتسامح منهجاً تمضون عليه مع كل ذلك.

3- انظروا إلى الاختلاف على أنه مصدر ثراء وغنى وتنوع، وليس شيئاً يضعف الأمة، أو يكدر صفاءها، فنحن إذا اتفقنا في الكليات لم يضرنا الخلاف في الجزئيات والفرعيات.

4- حين يكون الأمر ظنياً اجتهادياً، فإن الصواب يكون غالباً مع الأكثرية الكاثرة، لكن حين يكون الافتراق بين الناس في أمور قطعية وظاهرة، فالصواب مع أهل الحق ومع من معه الدليل والبرهان، وهذا ما عناه ابن مسعود –رضي الله عنه- حين قال: "الجماعة أن تكون على الحق ولو كنت وحدك" فإذا كانت هناك قرية لا يصلي فيها إلا رجل واحد، فذلك الرجل هو الجماعة وعلى أهل القرية جميعاً أن يرجعوا إليه.

5- لنتهم أنفسنا عوضاً عن اتهام الآخرين.

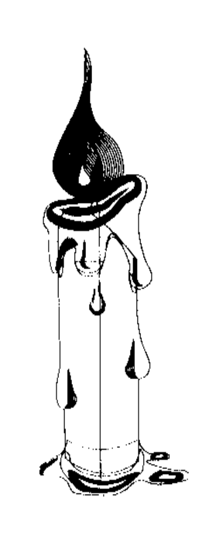
6- اعتمدوا الحوار والتفاوض من أجل الوصول إلى أفضل بلورة ممكنة في المسائل المختلف فيها.



الشمعة

36

"شيء من المرح"



مع أن الأمة تحتاج إلى الوقت وتحتاج إلى الجدية من أجل استدراك بعض ما فاتها على صعيد التقدم العمراني، إلا أنه سيظل من المهم أن نحمي أنفسنا من (الجدية الغبية) التي تجعل المرء أشبه بالمحرومين والمنكوبين، ما الذي يمنع الذي يبذل جهداً مضنياً حتى يبلغ قمة الجبل أن يستمتع بالمناظر الخلابة التي يمر بها في طريقه؟ وما الذي يمنع الصياد الذي خرج لكسب رزقه من أن يذكر الله – تعالى- ويبتهج كلما نظر إلى أمواج البحر الهادئة؟ إن شيئاً من الضحك وشيئاً من عبث الأطفال ومن الطرفة ... يجعل للحياة طعماً لذيذاً في الفم، ويخفف عن الروح بعض أعبائها. وقد كان نبيكم ﷺ وهو من هو في وقاره وعظمته وخشيته لله وعلو همته- يمازح أصحابه، ويضحك مما يضحكون منه، ويتعجب ممّا يتعجبون منه، وهو الذي قال: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك

بوجه طلق"[١]. وقال عبد الله بن الحارث -رضي الله عنه-: "ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ"[٢]. وكان يتفاعل مع الأخبار السارة، فيظهر البشر على محياه، وقد قال أحد أصحابه: "كان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك"[٣]. حاولوا أن تضحكوا من قلوبكم، ورفّهوا عن أنفسكم من خلال شيء من اللعب والمزاح والرياضة، وقاوموا الرتابة والسآمة، فإنهما عدوان لدودان للسعادة؛ وليكن كل ذلك في إطار آداب الشريعة الإسلامية الغراء وفي إطار التوسط والاعتدال. كما أن السيارة تحتاج إلى طاقة كي تتحرك وتسير، كذلك الإنسان يحتاج إلى وقود روحي يحركه نحو المعالي، ويدفعه في سبل الخير، وإن التفاؤل والبشر والأمل والمزاح والملاحظات الذكية والطريفة، تشكل شيئاً مهماً في ذلك الوقود.

ما الذي يعنيه كل هذا بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟

إنه يعني الآتي:

1- اتخذوا من الضحك صمام أمان من الاكتئاب والتوتر، واجعلوا منه وسيلة للحفاظ على سلامة العقل والنفس، وكما قال أحد الخبراء: إنك لن تستطيع أن تجمع بين الضحك والاكتئاب، ولكن لا تنسوا الاعتدال في هذا وفي كل شيء.

2- إن الطرفة المهذبة تشكل أداة لإثارة أعماق الروح. وإن المرء حينَ يضحك من طرفة سمعها، تلمع عيناه بالامتنان لمن ساقها.

3- تعلموا الضحك من الأطفال الصغار، فهم يضحكون بسهولة ومن أي شيء، وفي

١. رواه مسلم.

٢. حديث حسن رواه الترمذي.

٣. متفق عليه.

إمكانكم فعل ذلك إذا فكرتم بطريقتهم وحلمتم بأحلامهم وتذكرتم كلماتهم.

4- تخلصوا بالمرح والضحك والمزاح من رذيلة الكبر والتعالي على الناس ومن الوقار المصطنع والادعاء الكاذب وجفاف الروح.

5- شبه أحدهم الإنسان من غير مرح بالسيارة التي تسير من غير ماصّات اصطدام – مساعدات- إنها ترتج وتنتفض بطريقة سيئة مع كل حصاة في الطريق. احرصوا على مواجهة صعوبات الحياة وآلامها من خلال الاستبشار بمعونة الله – تعالى- ومثوبته ومن خلال رؤية الوجه الجميل للأشياء.

6- عوِّدوا أنفسكم أن تتحدثوا مع بعض الزملاء والأصدقاء عن بعض القصص الطريفة التي جرت معكم والتي تجعلكم تضحكون من أنفسكم أحياناً، فالناس يحبون الأشخاص الذين يتصفون بهذه الصفة. حاولوا دائماً أن تضحكوا مع الآخرين لا عليهم، واحذروا في كل ذلك الكذب والغيبة.

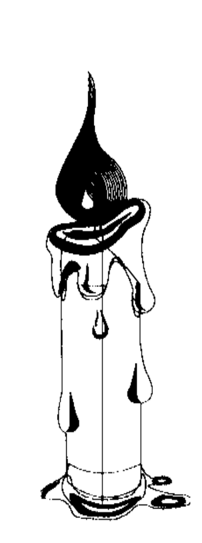
7- افرحوا بالطاعة والإنجاز وبلقاء الأهل والأصدقاء، وعبِّروا عن شكركم لله واغتباطكم بفضله في كل حين.

■■■■

الشمعة

37

"احترام الحقيقة"



عظمة المرء يا أبنائي وبناتي من عظمة ما يؤمن به، وما يفديه، وما يدافع عنه، وإن ديننا الحنيف الذي نفخر بالانتماء إليه يوجهنا إلى حب الحق واحترام الحقيقة، وأن نتعامل معها كما هي من غير تزيين ولا تقبيح. وإن الحق من أسماء الله – تعالى- ونبينا ﷺ جاء بالحق، وبالحق قامت السموات والأرض؛ وإن التثبت من صحة ما نسمع، وما نقرأ يشكِّل البداية لتحديد موقفنا منه والبداية لموالاة الحق ونصرته.

أنتم تسمعون اليوم الكثير من الأخبار المتداولة، وتقرأون كثيراً مما يكتب على (الإنترنت) وتلاحظون أن كثيراً منه مجهول المصدر، كما أن أسماء كتّاب بعضه مستعارة، وأسانيد الروايات التي نسمعها حول كثير من الأشياء مجهولة ..... هذا كله يلزمنا ألاّ نسارع إلى تصديق ما نسمع ونقله ونشره حتى لا نكون شركاء في

تعميم الأخبار المغرضة والعارية عن الصحة، وأنتم تعرفون ما ذكره الله –عز وجل- في هذا الشأن حين قال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ [١]. وقال –سبحانه-: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾ [٢]. إنه توجيه كريم للمؤمنين إذا كانوا في الغزو ألّا يعجلوا في القتل حتى يتبين لهم المؤمن من الكافر.

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى بناتي وأبنائي؟

إنه يعني الآتي:

1- دربوا أنفسكم على عدم تصديق كل ما تسمعونه من خلال إثارة التساؤل حوله وإعمال العقل فيه، ودربوها كذلك على الإقلال من روايته ونشره بين الناس، وقد قال –عليه الصلاة والسلام-: "كفى بالمرء كذباً أن يحدِّث بكل ما سمع"[٣].

2- ابحثوا دائماً عن مصدر القول الذي تسمعونه، وحاولوا معرفة ناقليه، هل هم ثقات مؤتمنون أو لا؟

3- في الغالب يكون ثبوت ما تشاهدونه أعظم وأشد من ثبوت ما تسمعونه، وكلما طالت سلسلة الرواة والناقلين للخبر، كانت إمكانية وقوع الخطأ والوهم أكبر.

4- تثبت التجارب والوقائع التي تفوت الحصرُ أن النقل الشفوي يظل غير دقيق، والناس يزيدون في الأخبار الشفوية حسب فهمهم وأمزجتهم وأهوائهم، فلا تتعاملوا مع ما تسمعونه من روايات تعاملاً حرفياً، ولا تثقوا بكل مفرداته

١. سورة الحجرات: ٦.

٢. سورة النساء: ٩٤.

٣. رواه مسلم.

وتفاصيله.

5- كلما انطوى الخبر على غرائب وأمور غير مألوفة وجب علينا أن نتوقف وندقق فيه أكثر؛ لأن كثيراً من ذلك يكون غير صحيح أو مبالغاً فيه.

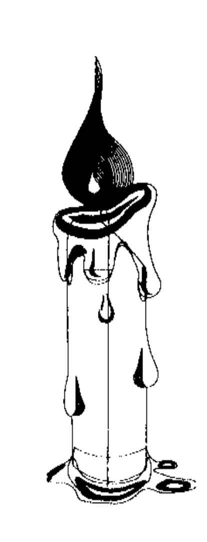
6- لا يعرف حجم الشيء، ولا يعرف مقداره وخطؤه وصوابه حتى ينتهي، ولهذا فإن المطلوب منكم هو التريث في إصدار الأحكام إلى أن ينتهي المتحدث من كلامه، والكاتب من موضوعه والذي قد ينشره على حلقات عدة.



الشمعة

38

"الخصم اللدود"



شيء أساسي في حياتكم أبنائي وبناتي أن تعرفوا عدوكم الأكبر وخصمكم اللدود حتى توجهوا كل جهودكم من أجل مقاومته دون هوادة. أتعرفون ما هو؟ إنه القصور الذاتي والضعف الشخصي. وقد تقولون لي: ما معنى القصور الذاتي؟ وأقول لكم: إني أعني بالقصور الذاتي هنا عدم كفاية القدرات الذاتية للمرء أو عدم استثمارها على النحو الأمثل، كما أعني به ضعف إرادته على صعيد مقاومة رغباته وعلى صعيد قيامه بمسؤولياته. من السهل دائماً أن يجد كل واحد منا شخصاً أو جهة أو حادثة أو ظرفاً ... يدعي أنه هو السبب في إخفاقه ومشكلاته، لكن ذلك كثيراً ما يكون غير موضوعي وغير مفيد أيضاً. حين هُزم المسلمون في (غزوة أحد)، وقال بعضهم: كيف نُهْزم ونحن جند الله، نزل قوله – تعالى-: "أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن

الله على كل شيء قدير"[1]. كونوا على ثقة يا بناتي وأبنائي أنه لا يستطيع أحد أن يؤذي أياً منكم من غير إذنه، وكونوا على ثقة كذلك بأن المرء يظل قادراً على الإساءة إلى نفسه أكثر من أي شخص آخر وهذا الكلام ينطبق على الجماعات والشعوب والأمم ....

القصور الذاتي يتجلى في العديد من الأمور، منها الآتي:

1- عدم وضوح الأهداف التي يسعى إليها المرء، حيث إن كثيراً من الشباب والشابات، لا يعرفون ماذا يريدون ولا يعرفون الشيء الذي سيشكل الفرق بين ما هم عليه اليوم، وبين ما سيكونون عليه بعد ثلاثين عاماً. هناك أمنيات وطموحات وأحلام وتطلعات، لكن ليس هناك أهداف. إن الهدف حين لا يكون واضحاً ومحدداً، فإنه لا يحفز صاحبه على العمل والعطاء وبذل الجهد، وهذا ما يعاني منه كثيرون منا رجالاً ونساءً وشيباً وشباباً.

2- الكسل وفتور الهمة بسبب فتور الدوافع والمحرضات على العمل. وقد قال أحد الحكماء: إن الإنسان ليس ضئيلاً ولا عاجزاً، لكنه كسول إلى حد بعيد. إن من المهم أن ندرك أن للأعمال المضاعفة نتائج مضاعفة، وأن لتضييع الأوقات سدى، ولأداء الأعمال ببطء وخمول نتائجه الرديئة التي لا تخفى.

3- تسهم الفوضى بحظ وافر في القصور الذاتي، ولا سيما في هذه الأيام، فنحن كما تعرفون نعيش في عصر شديد التعقيد، وكثير المتطلبات، والفرص فيه عظيمة، ولذلك فلا بد من تنظيم الشأن الشخصي وترتيب الأولويات. ألزموا أنفسكم بأداء شيء جيد على نحو يومي مثل قراءة جزء من القرآن والمحافظة على صلاة

1. سورة آل عمران: ١٦٥.

الجماعة وقراءة ساعة في كتاب جيد، والوصول إلى مكان العمل في الوقت المحدد، وأداء خدمة تطوعية صغيرة.... فهذا يحد من الفوضى في حياتكم الشخصية.

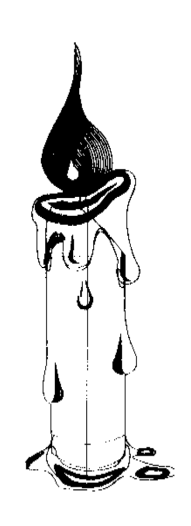
4- التسويف عدو كبير لأصحاب النفوس الكبيرة والهمم العالية، ونحن سمعنا وقرأنا الكثير عن مساوئ التسويف، ومع هذا فإن كثيرين منا يعملون وفق المقولة التالية: "كل شيء تستطيع إنجازه غداً فلا تنجزه اليوم"! إن التسويف نوع من العطالة والبطالة ونوع من التهرب من أداء الواجبات، وعواقبه كثيراً ما تتجلى في فوات بعض الخير ووقوع بعض الخسائر. إن الزمان لا ينتظر أحداً، ومن كان عاجزاً عن أداء واجبات اليوم، فسيكون أشد عجزاً إذا اجتمعت واجبات اليوم والأمس. أوقدوا شعلة الإيمان في صدوركم، واتركوا نورها يضيء كل جوانب حياتكم، تخلصوا من العجز والكسل والتسويف والغموض والفوضى مستعينين برب كريم رحيم ودود معين.

■■■■

الشمعة

39

"ابحثوا عن الفرص"



لم يمر على الناس زمان استخدموا فيه كلمة (فرصة) كما هو حاصل اليوم، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على كثرة الفرص وكثرة المهتمين بها. إن الله – تباركت أسماؤه- جعل تطور مجالات الحياة وأنواع التغير التي تطرأ على أوضاع البشر من أسباب تجدد الفرص والإمكانات التي يمكن للبشر أن يستفيدوا منها، ولهذا فإني أود من أبنائي وبناتي أن يؤمنوا على نحو جازم أنه ما دام هناك حياة وأحياء، إذن هناك فرص للعمل والسعادة والنجاح والعطاء والترقي .... لكن لابد من القول: إن الفرص أشبه بالأسماك. فالفرص الصغيرة وغير القيّمة أشبه بالأسماك الصغيرة التي نجدها قرب الشواطئ في المياه الضحلة. أما الفرص العظيمة، فهي أشبه بالأسماك الضخمة وأشبه باللآلىء العظيمة التي تتحاج إلى الذهاب إلى لجج البحر أو إلى الغوص في أعماقه. من النادر أن تطرق الفرصة

باب أحد إلا إذا كان متميزاً جداً ومشهوراً جداً. أما الشباب والفتيات وحديثو التخرج، فإن عليهم هم أن يبحثوا عن الفرص بجدية وحسب الأصول.

بعض أبنائي وبناتي يبحثون عن عمل عشرة أيام أو عشرين يوماً فإذا لم يجدوا بغيتهم جلسوا يندبون حظهم، ويشكون من سوء الأحوال، وهذا ليس بالشيء الجيد. هناك أناس بحاجة إليك وإلى خبرتك وتخصصك، وهناك جامعات ستكون مسروراً إذا درست فيها، وهناك مشروعات في إمكانك أن تنفذها بنجاح كبير، لكن من غير بحث دؤوب، فقد لا تصل إلى أي شيء من ذلك.

وهذه بعض الملحوظات في مسألة الفرص:

1- الفرصة رزق من الله – تعالى- وإن ما عند الله ينال بطاعته، ولهذا فإن على طالب فضل الله – تعالى- أن يتقيه ويستقيم على أمره، وقد قال –عز وجل-: "ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً"[١]. العلاقات الحسنة بالناس والتواصل معهم وتقديم الخدمة لهم والتعاطف معهم من الأعمال التي ترضي الله – تعالى- وهي مصدر رزق؛ ولدينا ما لا يحصى من الوقائع الدالة على ذلك. وإن سوء الخلق والعزلة والأنانية، لها تأثير مضاد، وهو شح الفرص، ولدينا أيضاً ما لا يحصى من الوقائع الدالة على هذا.

الصدقة أيضاً باب من أبواب الرزق؛ وقد كان أحد الأخيار الأجواد يقول لأولاده: إذا اشتدت عليكم الكروب، وضاقت الأحوال، فتصدقوا ولو بالقليل، فإن الله يعوض عليكم ما أنفقتموه أضعافاً مضاعفة، ويوسع عليكم. ولا تنسوا بر الوالدين

١. سورة الطلاق:٢،٣

وصلة الرحم، فهما أيضاً من أسباب الرزق، وقد قال – عليه الصلاة والسلام-: "من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره – أي يؤخر أجله- فليصل رحمه"[1].

2- الفرص موجودة وغير موجودة في آن واحد: موجودة أمام المؤهلين لها، وغير موجودة أما الكسالى والمهملين والفوضويين، ولهذا فإني آمل أن تمضوا في حياتكم وفق هذه القاعدة:

"كلما كان المرء أقوى وأفضل استعداداً وتأهيلاً كثر المحتاجون إليه، والباحثون عنه؛ وكلما كان المرء ضعيفاً في تأهيله واستعدادته ومهاراته، عظمت جاحته إلى الناس، وعظم استغناء الناس عنه". ولكم أن تلمسوا هذا في الطالب الذي نال الدرجة النهائية في (الثانوية) وفي اختبارات القبول في الجامعات، فإنه يجد أبواب كل الكليات مشرعة أمامه، وكذلك الشاب الذي تخرج من جامعة ممتازة، فإنه يحصل على عقد قبل أن يتخرج، وهذا أمر واضح جداً.

3- إذا خُيِّرَ أحدكم بين أن يجلس في بيته وبين أن يعمل مجاناً، فإن عليه ألّا يتردد في أن يعمل مجاناً؛ لأن عمله يشكل بحثاً عن عمل مأجور، حيث يتعرف أرباب العمل عليه، ويكتسب خبرة إضافية......

4- حاول دائماً أن تكون لك ميزة على أقرانك، مثل أن تتقن لغة أجنبية، أو تحسن استخدام الحاسب الآلي، أو يكون لك تخصص دقيق في فرع من فروع المعرفة، أو في شيء مهني أو تقني، أو يكون معك شهادة عليا مميزة...

5- إذا لم تجد العمل المناسب لك، فلا تقعد في بيتك، واقبل بما تيسر، ثم ابحث

١. متفق عليه.

عمّا هو أفضل وأليق بك.

6- تعلم كيف تعبر عن نفسك من خلال كتابة سيرة ذاتية بأسلوب جيد، أو من خلال الاستعداد لامتحان المقابلة للتوظيف، أو من خلال تقديم نموذج ممتاز في فترة التجربة قبل تثبيت العقد.

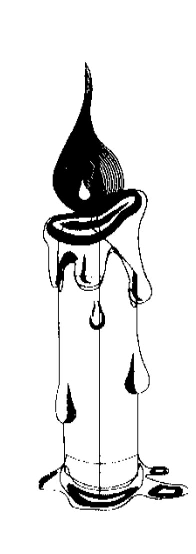
7- شيء طبيعي ألّا يجد المرء في مقتبل عمره الوظيفة المناسبة، لكن بعد مدة أربع أو خمس سنوات تستقر الأمور، وتنتهي المشكلة.



الشمعة

40

"على مقدار تعبكم تتعلمون"



زمانكم هذا كثير المتطلبات وكثير الفرص، كما أنه كثير التحديات. يمكن للمرء أن يحصل منه على أشياء كثيرة، لكن ليس بينها أي شيء مجاني. التعب وبذل الجهد والمثابرة والتركيز أثمان لابد من دفعها لمن أراد أن يعيش زمانه بكرامة وكفاءة وفاعلية. في الماضي كان الناس يا أبنائي وبناتي يظنون أن المرء كلما حفظ أكثر كان أعلم، وأمكنه أن ينفع الناس أكثر، ولهذا فإن السماع والتكرار وترسيخ المحفوظات كان هو الجهد الأساسي الذي يبذله طالب العلم. أما اليوم فالأمر مختلف. لا شك أن على كل واحد منكم أن يحفظ في المرحلة الابتدائية والمتوسطة ما يستطيع أن يحفظه من آيات الكتاب العزيز. وأحاديث النبي ﷺ- بالإضافة إلى حفظ شيء من أحداث السيرة والتاريخ الإسلامي، إلى جانب حفظ شيء من روائع الشعر والنثر والحكم والأمثال ... فهذه تشكل ذخيرة علمية، يستفيد

منها الإنسان مدى الحياة، ومع ذلك فلابد يا أبنائي وبناتي من أن تلتفتوا في كل مراحل التعليم إلى الوسائل والأساليب الحديثة في التعلم، وهذه الأساليب تقوم جميعها على قاعدة واحدة هي" "كلما بذل الطالب جهداً أكبر في التعلم كان ما يحصل عليه أعظم وأنفع وأبقى"، وفي إمكاني أن أذكِّركم على هذا الصعيد بالأمور الآتية:

1- كونوا شديدي الانتباه لما يقوله المدرسون والمدرسات، واكتبوا كل الأفكار والفوائد الجميلة والملاحظات القيِّمة التي تسمعونها.

2- ليحاول كل واحد منكم أن يجلس في مكان حيوي في الفصل، حتى يستطيع التفاعل الجيد مع من يلقي عليه الدروس.

3- التعلم تفاعل والتربية كذلك تفاعل، والطالب يتعلم على مقدار ما يتفاعل، وإن بداية التفاعل تكون في الاهتمام بما يقوله المعلمون والمعلمات، ثم بذل الجهد في فهمه بالإضافة إلى السؤال عن الشيء غير الواضح ومحاولة الإجابة على الأسئلة التي يطرحها الأساتذة.

4- تحضير الدروس قبل المجيء إلى المدرسة، والعمل على فهم ما يمكن فهمه منها ووضع خطوط تحت العبارات والمسائل غير المفهومة من أجل السؤال عنها في حينه.

5- كتابة الواجبات وحل التمارين المنزلية بهمة ونشاط، حيث إن حل الواجبات يكسب الطالب أفضل المهارات؛ لأنه يلجئه إلى البحث والتفكير.

6- تعلموا أصول كتابة البحوث، وعوِّدوا أنفسكم ممارسة الكتابة، والطالب هو في الأصل باحث صغير. إن كتابة بحث صغير أو مقالة أو قصة قصيرة، قد تضع

الطالب على طريق احتراف الكتابة والتأليف، وهي في كل حال تساعده على اكتشاف ذاته وفهم إمكاناته الشخصية.

7- تعلموا القراءة السريعة وتعلموا القراءة المركزة التي يتم من خلالها تفلية الكتاب والاستفادة منه إلى أقصى حد.

8- حاولوا دائماً توسيع مدلول المواد المقررة عليكم في المدارس والجامعات من خلال الرجوع إلى المصادر والمراجع والاطلاع على تاريخ العلوم التي تدرسونها، وهذه نقطة مهمة إذ إن من الواضح أننا لا نستطيع أن نفهم أي علم إلا إذا فهمنا تاريخه.

9- زماننا هذا هو زمان التخصص وزمان إتقان الأشياء الصغيرة، فليحاول كل واحد منكم أن يتخصص في فرع من فروع المعرفة على أمل أن يصبح في يوم من الأيام حجة ومرجعاً فيه، وهذا ليس بالشيء المستحيل إذا توفرت الإرادة والإصرار والعزيمة.

10- من الواضح أن الإطلاع على المعارف والمعلومات صار ميسراً على نحو كبير، والتحدي الذي يواجهنا اليوم يا بناتي وأبنائي يتمثل في كيفية توظيف المعلومات التي لدينا في تحسين نوعية الحياة وتحسين الأخلاق والأوضاع الاجتماعية إلى جانب استثمارها على الصعيد العملي والإنتاجي، وهذا ما يحتاج إلى وعي وتركيز وتدريب.

11- حاولوا أن تجلسوا مع أهل العلم والفضل والفكر وأن تنهلوا من معينهم؛ وتستفيدوا من تجاربهم، وأظهروا الابتهاج بالأفكار الجديدة النافعة كما يبتهج الأهل بقدوم ابن لهم من سفر بعيد.

قد تقولون: إن تنفيذ هذه الوصايا ليس سهلاً، وهذا صحيح، ولكن من هو الذي يقول: إن طريق المعالي والنجاح الباهر مفروش بالورود دائماً؟! لكن ثقوا أن الآلام النفسية التي يشعر بها الطالب الكسول والطالب الذي يعاني من الفراغ أكبر بكثير من العناء الجسدي الذي يجده الطالب المجد والمثابر.

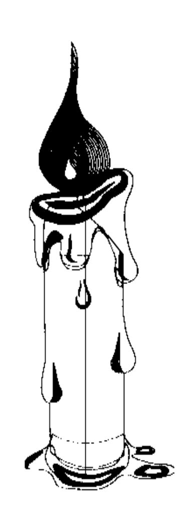
والله يتولانا وإياكم بفضله.



الشمعة

41

"خيِّرون بلا حدود"



يقولون: إذا أرت أن تعرف شخصاً على المستوى العميق، فانظر إلى طموحاته وتطلعاته وأحلامه، وما يهجس به في خلواته، فإن كانت تدور حول أشياء شخصية وصغيرة فهو صغير، وإن كانت تدور حول نفع عام وتحولات كبيرة فهو كبير، وهذا يا أبنائي وبناتي ميزان دقيق؛ لأن ما يقدر عليه البشر من خير أو شر، يظل محدوداً ومقيداً بالظروف والإمكانات المتاحة، أما ما يحلمون به، ويتمنونه، فإنه متصل بأرواحهم وأعماق ذواتهم وطليق من كل قيد، لهذا فإنه يعبر عنهم تمام التعبير.

الحقيقة أيها الأعزاء والعزيزات أن المسلم الملتزم بحقيقة الدين يظل متردداً بين خير، ينجزه وخير يتطلع إليه، ولهذا فإن قلبه دائم التألق، وضميره في حالة من الراحة العظيمة. إن لدينا عدداً من النصوص التي تحث المسلم على أن يحرص

على نية الخير والتطلع إليه، منها قوله ﷺ : "إن الحسنات يذهبن السيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة"[١].

طبعاً يا أبنائي وبناتي ليس المراد بـ (الهمّ) هنا مجرد خطور الشيء في البال ونسيانه بعد قليل، كما تُنسى كل الخواطر العابرة، وإنما المراد العزم والتصميم الذي يصاحبه الحرص على العمل. ومن الأقوال الواردة في الحث على التطلع إلى الخير والحرص على النية الصالحة قول أبي الدرداء – رضي الله عنه-: "من أتى فراشه وهو ينوي أن يصلي من الليل، فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى". ويقول سعيد بن المسيب: "من هم بصلاة أو صيام أو حج أو عمرة، فحيل بينه وبين ذلك، بلّغه الله ما نوى". ويذكر زيد بن أسلم أن رجلاً كان يطوف على العلماء قائلاً: "من يدلني على عمل لا أزال منه لله عاملاً، فإني لا أحب أن تأتي عليّ ساعة من الليل أو النهار إلا وإني عامل لله - تعالى- فقيل له: قد وجدت حاجتك، اعمل الخير ما استطعت، فإذا فترت أو تركت فهمّ بعمله فإن الهامّ بفعل الخير كفاعله". وقد ذكروا أن عبد الله بن الإمام أحمد قال لأبيه أحمد: "يا أبت أوصني، فقال له: "يا بني انو الخير فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير".

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة لأبنائي وبناتي؟

إنه يعني الآتي:

1- الخيرون من هذه الأمة يحبون الإحسان إلى الخلق، ويحبون رؤية المسلمين وهم في خير ونعمة.

....

١. متفق عليه.

2- أكبر دليل على أن حب الخير وإرادته موجودان لدى المرء هو انغماسه في عمل الخير حتى إذا حالت العقبات والظروف المعاكسة بينه وبين الخير لجأ إلى تطلعاته، فجعلها خيرة، ثم مكث ينتظر الفرصة كي يجسدها في حركة ملموسة.

3- إن المنتفع الأساسي بأعمال الخير ليسوا الذين يستقبلونها، وإنما الذين يقومون بها، حيث إن ثواب الله –تعالى- لهم لا يعدله أي شيء.

4- اجعلوا من نواياكم معياراً تتعرفون من خلاله على جوهر شخصياتكم وعلى القيم التي تؤمنون بها، وعلى مدى حرصكم على نفع أهلكم وبلادكم والناس من حولكم.

5- ليحاول كل واحد منكم أن يقوم بعمل خيري صغير كل يوم، وذلك مثل الصدقة بـ (ريال) والسؤال عن صديق ونصيحة لشخص مقصر، وتعليم لجاهل ومساعدة لزميل في درس من الدروس، وابتداء الآخرين بالسلام ....

6- قارنوا دائماً بين ما تفعلونه من الخير وبين ما تتطلعون إليه، واجعلوا ما تتطلعون إليه أكبر وأعظم، واسعوا إلى تحقيقه.

7- اتخذوا من نية الخير حاجزاً يحول بينكم وبين الوقوع في المعاصي وحاجزاً يمنعكم من السقوط في أوحال الأنانية.

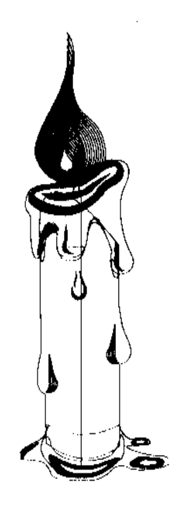
8- حدثوا أهليكم وأصدقاءكم المقربين بما تتطلعون إليه، واستشيروهم في كيفية الوصول إليه، واطلبوا منهم المساعدة على ذلك.

■■■■

الشمعة

42

"الوطنية: انتماء وعطاء"



الاستقرار في الأوطان والشعور بالأمان والعيش مع الأهل والأرحام ورفاق الصبا نعمة من أجلِّ النعم التي تستوجب الحمد لله والثناء عليه، ولا يعرف قدر هذه النعمة إلا أولئك الذين قُلِعوا من جذورهم، وصاروا يعيشون في مخيمات اللاجئين، يتذوقون الهوان، وينتظرون يداً حانية تضع شيئاً في صحونهم الفارغة!. حين يحب المسلم بلده، ويرتبط به، ويسعى لخيره وخير أهله، فإنه في الحقيقية يسلك طريقاً إلى تهذيب نفسه وتخليصها من الأنانية المقيتة، فالحب والولاء والاهتمام عطاء من أجمل أشكال العطاء.

إن كل حركة إيجابية وكل مساهمة خيرة ترفع من شأن الوطن، هي إضافة لرصيد مجموع المواطنين، وهذا لا يشعر به الناس إلا إذا خرجوا من بلادهم، حيث إنهم يعاملون في المطارات ومجالات العمل وفي وسائل الإعلام بناء على جوازات السفر

التي يحملونها؛ حينئذٍ يبدو كل مواطن وكأنه صورة مصغرة عن وطنه؛ ولهذا فإن أي جهد يبذل في بناء الأوطان يستثمره، وينعم به الباذلون أنفسهم ثم أبناؤهم وأحفادهم من بعدهم ....

لا يستطيع العظماء والنبلاء وأهل النفوس الكبيرة أن ينسوا مساقط رؤوسهم مهما بلغوا وسموا؛ لأن الحنين إلى الأوطان جزء من نبلهم ووفائهم وعظمتهم .... وقد ذكروا أن أبان بن العاص قدم من مكة مهاجراً إلى المدينة، فسأله رسول الله ﷺ يا أبان كيف تركت مكة؟ فقال: تركت الإذْخر وقد أعذق والثمام وقد أورق .. - وهذه نباتات مكة في فصل الربيع- فاغرورقت عينا رسول الله ﷺ حين تذكر مراتع الصبا وملاعب الطفولة ......

إن حب المسلم لوطنه جزء من حبه لدينه؛ لأنه لا يمكن لنا أن نتطاول في بنيان الدين وأن نعلي من شأنه في أوطان مهزومة أو مضطربة أو ذليلة ومتخلفة. فإذا أردنا لأمة الإسلام أن تزدهر، وأردنا للرايات الإسلامية أن تخفق عالياً بالبشر والخير، فإن علينا العمل على بناء أوطان عزيزة ومنيعة وخيِّرة، تفيض بالرحمة والبر والتآلف، ويظللها الرخاء والأمن والاستقرار.

احذرو يا بناتي وأبنائي أن تتعاملوا مع الوطن كما يتعامل التاجر مع التاجر: كم ستدفع لي؟ وسلعتي تساوي أكثر... إن هذا المنطق يجافي الحب الحقيقي للوطن، أضيفوا إلى هذا أن كل ما نقدمه لأوطاننا هو قضاء لدين في ذمتنا؛ كما قال شوقي:

ولــلأوطــان في دم كـل حـرٍ
يــد ســلـفـت وديـــن مـسـتـحـق

لا تقل أبداً: ما الذي قدّمه لي وطني، وقل: ما الذي قدمته أنا لوطني؟ البلد الصالح هو وطن يسكنه أناس صالحون، والبلد الفاسد بلد يسكنه أناس فاسدون. هنا قد تقولون لي: من هو المواطن الصالح، وما هي المواطنة الصالحة؟ وأقول في جواب هذا السؤال:

1- المواطن الصالح والمواطنه الصالحة إنسان قادر على أن يمنح الوطن شيئاً من حبه وعاطفته واهتمامه، وهذا يدفعه إلى خدمته والغيرة عليه والدفاع عنه.

2- المواطن الصالح قبل كل شيء هو لبنة ممتازة يفتخر البنّاء الماهر بجعله جزءاً صغيراً من صرح الوطن الكبير!.

3- صلاحية المرء لأن يكون جزءاً من صرح الوطن تتجلى في شيئين جوهريين هما: الاستقامة في السلوك والكفاءة الشخصية، فنحن نسعى لبناء وطن مستقيم خلوق ومنيع ومنتج ومستقل.

4- المواطن الصالح يضبط حريته بالإرادة الجمعية لمجتمعه، فيخضع لأعرافه الصالحة، ويساعد على تقوية لحمته الأهلية.

5- يشكل المواطن الصالح إضافة لوطنه من خلال إعداده الجيد لذاته، ومن خلال كونه شخصاً غير عادي في إتقانه وأدائه لأعماله.

6- حين يعاني الوطن من مشكلات بعينها، فإن المواطن الصالح يكون جزءاً من الحل لتلك المشكلات؛ لأنه ببساطة، لا يشكل عبئاً على الوطن، وإنما يُنْظَرُ إليه على أنه مساهم في إنقاذه وهذا لا يكون إلا إذا كان المواطن صالحاً مستقيماً خيراً ومنتجاً.

7- المواطن الصالح يملك فائضاً من الوقت أو الجهد أو المال، ويعمل على توظيف

ذلك الفائض في خدمة العناصر الضعيفة من أبناء بلده مثل الأرامل والأيتام والعجزة والمعوقين ...

8- المواطن الصالح يعامل المكان الذي يعيش فيه كما يعامل مثقف ممتاز مكتبته الخاصة، إنه يستفيد منها، ويمدها بالجديد والمفيد، ويتركها يوم أن يتركها وهي في أفضل ما تكون غنى واكتمالاً.

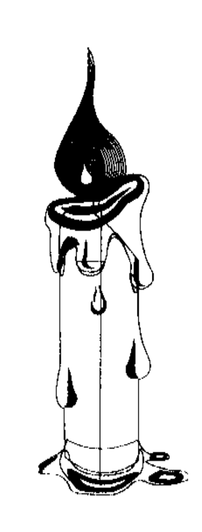
أضر شيء على الوطن أقوام يتحدثون عن أمجاده، ويتغنون باسمه، وهم يعملون على إيذائه والإساءة إلى سمعته؛ وأعيذكم بالله من أن تكونوا مثلهم.



الشمعة

43

"روح التدين"



نحن مغمورون بفضل الله – تعالى- بما أكرمنا به من نعمة الإيمان والهداية، وشكر هذه النعمة الكبرى يكون بالتفاعل مع المنهج الرباني الأقوم، واتخاذه دليلاً نسترشد به في كل أمور حياتنا. محصلة كل العبادات في الإسلام يا بناتي وأبنائي محصورة في شيء واحد، هو تدعيم معنى العبودية في نفس المسلم وعقله وسلوكه وتقوية صلته بالله – تعالى- فهو يحبه ويرجوه، ويستحي منه، ويخافه، ويشعر بمعيته، ويبذل جهده في كسب مرضاته، ويلتزم بأوامره، ويقف عند نواهيه. ولا أريد هنا أن أستعرض الآيات والأحاديث التي تشير إلى هذا المعنى، لكن أود أن أقول لكم: على الرغم من تقدم عدد من الأمور في حياتنا مثل الوعي والفكر والعلم والاقتصاد .. إلا أن هناك جانباً مهماً يصاب بالذبول والضمور، أتعرفون ما هو؟ إنه الجانب الروحي جانب الإحساس بمعية الخالق –عز وجل- لنا وحضوره

الجليل في قلوبنا وأرواحنا، وهذا يحدث لنا بسبب كثافة المشاغل اليومية وتعقد الحياة المعاصرة، كما أنه يحدث أيضاً بسبب ما فتح علينا في السنوات الأخيرة من الترفيه والتسلية واللهو على نحو لم يسبق له مثيل، ولا تنسوا التيار الشهواني الجارف الذي دخل كل بيت .

الإنسان يا أعزائي وعزيزاتي ضعيف، ومن السهل أن يشعر بالخوف والاغتراب، ولهذا فإنه يحتاج دائماً إلى مظلة أمان، يحتمي بها من تهديدات المجهول وضغوطات المادة، وليس هناك شيء كالصلة بالله – تعالى- لتوفير تلك المظلة.

أنا أعرف حجم المعاناة التي يلاقيها أبنائي وبناتي في هذا العالم المملوء بالشكوك والشهوات والمغريات والتعقيدات...، وهذا هو بالضبط ما يدفعني إلى التركيز على الجانب الروحي، وكونوا على ثقة أن إمكانات النجاة والنصر موجودة وكبيرة، لكن بشرط أن نصغي إلى الدليل، ونتلقّى إرشاداته بحماسة واهتمام. هناك شباب كثيرون وشابات كثيرات من أبناء وبنات هذه الأمة، يتحركون، ويشقون طريقهم مقتفين أثر أبي مسلم الخولاني حين قال: "أيظن أصحاب محمد – ﷺ- أن يستأثروا به دوننا؟ كلا والله لنزاحمنهم عليه زحاماً، حتى يعلموا أنهم قد خَلَّفوا وراءهم رجالاً"! صدق أبو مسلم، وإن كل واحد منكم يستطيع أن يكون من أولئك الرجال الذين يجدّدون عهد شباب الأمة وفتياتها بالدين واتباع النبي الأمين. قد تقولون: كيف نكون كذلك، وما الذي علينا أن نفعله؟

الطريق إلى ذلك بسيط وجميل وواضح، ويمكن أن أشير إلى أهم ملامحه في المفردات الآتية:

1- تذكروا دائماً أن مستقبلكم ومصيركم وكل شأنكم في يد الله البرّ الكريم

العزيز الرحيم، وحاولوا ترسيخ هذا المعنى في وعيكم من خلال استحضاره وفهم مدلولاته.

2- كلما رأيتم فرصة للعمل الصالح، ردوا في أنفسكم: "هذا يرضي ربي" ثم سارعوا إليه: ابتسامة صادقة في وجه شخص، تسلم عليه، مسح على رأس يتيم، صدقة بمبلغ زهيد، تقبيل يد الوالد والوالدة، عرض خدمة على صديق ......

3- هناك شيء فريد في إشعال جذوة الشوق في القلوب وفي التنعم بنفحات الكريم الرحيم، وهو الاستيقاظ قبل الفجر والتوجه إلى الله – تعالى- بالدعاء والصلاة والمناجاة ..... وأملي أن يصبح هذا جزءاً من البرنامج اليومي لكم، وسترون المكاسب العظيمة له، والتي ستنير الكثير من جوانب حياتكم، فهل أنتم فاعلون!.

4- تعلموا فن التذلل لله - تعالى- والتملق له والانكسار بين يديه، وأظهروا حاجتكم المطلقة إلى عفوه ومعونته، وأكثروا من الثناء عليه، واتحذوا منه وسيلة لترقيق قلوبكم.

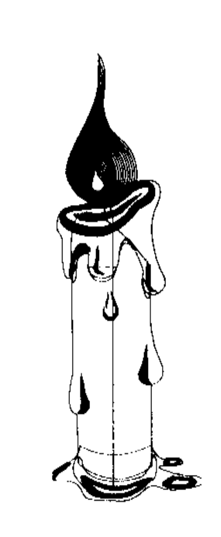
5- قاوموا المغريات وكل ما يصرفكم عن التفكر في فضل الله – تعالى- وعظمته وسلطانه. أقول ما أقوله وأنا أعتقد أن ما ذكرته ليس عبارة عن تكاليف شاقة، وإنما هو فرص لإنعاش الروح وإحياء القلب والشعور بمباهج حياة جديدة.

■■■■

الشمعة

44

"العلم وليس الذكاء"



كثيراً ما يتجادل الناس في مسألة المفاضلة بين العقل والعلم، وفي القدر المطلوب منهما للإبداع والاختراع والتفوق، وفي مرحلة من تاريخنا كان كثير من المثقفين يعتقدون أن تفضيل العلم عن العقل شيء لا يليق بمثقف رصين، ومن أدبيات الجدال في هذه المسألة ما ذكره أحد الشعراء حين قال:

علم العليم وعقل العاقل اختلفا

من ذا الذي منهما قد أحرز الشرفا

فالعلم قال: أنا أحرزت غايته

والعقل قال: أنا الرحمن بي عُرفا

فأومأ العلم إيماءً وقال له

بأيّنا الرحمن في فرقانه اتصفا؟



فبــان للعقـل أن العـــلم سـيده

فقبّلَ العقلُ رأس العلم وانصرفـا

لا أحد يا أبنائي وبناتي يستطيع أن يهون من شأن الذكاء ومن دوره في تنظيم المعرفة وخضها من أجل الوصول إلى شيء جديد، ولا أريد هنا أن ألفت نظركم إلى أشياء بدهية، لكن أود أن أشير إلى أن كلاً من الذكاء والعلم أساسي في الإبداع والنجاح، لكن كلما قلَّ العلم ظهر دور الذكاء، وكلما كثر العلم تراجع دور الذكاء، وإن الحجم المتاح من العلم اليوم شيء هائل، وإن المعرفة تتضاعف في هذا العصر كل خمس عشرة سنة مرة، ممّا يعني أن قيمة الذكاء تتراجع باستمرار، ومن هنا فإن الاعتقاد السائد الآن هو أن (العلم) هو المصدر الأساسي لتشكيل العقل، وقد شبه أحدهم العقل بالرحى التي تطحن الحبوب، وشبه العلم بالقمح الذي نصبه فيها، فمهما كانت الرحى عظيمة فإنها لن تُخرِج لنا طحيناً إلا من نوع القمح الذي وضعناه فيها، وإذا لم نضع فيها شيئاً لم تُخرِج لنا شيئاً.

ذكاء متوسط مع تعلم جيد ومع جد ومثابرة وتخطيط طموح أجدى على صاحبه وأنفع له من ذكاء متوهج وعالٍ جداً؛ لكن لا يصحبه تنظيم ولا علم ولا طموح .... وهذا هو التفسير الصحيح لما نراه من تسجيل كثيف لبراءات الاختراع لدى بعض الدول سنوياً، وما نراه من شح في ذلك لدى دول أخرى، حيث إن الذكاء على مستوى الأمم والشعوب موحد. إن الذكاء فعلاً لا ينفع الذين لا يملكون سواه شيئاً.

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟

إنه يعني الآتي؟

1- لا تفكروا في مستقبلكم، ولا ترسموا أهدافكم بناء على ما لديكم من ذكاء وقدرات، ولكن حاولوا أن تحصِّلوا العلم النافع الذي يساعدكم على الوصول إلى تلك الأهداف.

2- لا تلتفوا إلى ما قد يقوله فيكم بعض ذويكم وبعض أساتذتكم من أنكم متوسطو الذكاء أو محرومون منه، واعملوا على الاستفادة من أوقاتكم إلى أقصى حد، وادرسوا التخصصات التي تميلون إليها وتحبون القراءة فيها.

3- حين يبلغ أحدكم أشده، فليحرص على تلقي العلم عن نبهاء عصره، وإن المرء حين يأخذ عن الكبار، فإنه يرشح نفسه ليصبح مثلهم، وابحثوا عن الجامعات المتازة ولو كانت مكلفة؛ لأن التعليم والتدريب الجيدين يعوضان المرء عن بعض ما لديه من نقص في الإمكانات العقلية.

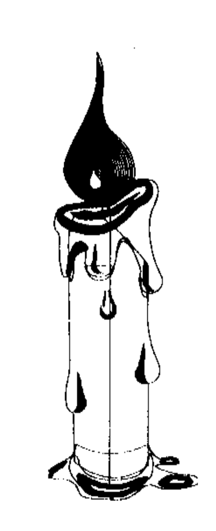
4- بالصبر والعزيمة والإصرار على طلب العلم قد يحقق الواحد منكم من التقدم الشخصي على المدى البعيد ما يعجز عنه كثير من الأذكياء، وتذكروا دائماً السباق الذي جرى بين الأرنب والسلحفاة حيث هُزم الأرنب بسبب غروره وتوانيه، وفازت السلحفاة بدأبها ومثابرتها.

■■■■

الشمعة

45

"مفتاح الخيرات"



هذا عنوان غامض، الهدف منه تحريض الأذهان على التفكير، وهو مقتبس من قوله ﷺ : "إن الصدق يهدي إلى البر،وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل لَيَصْدُقُ حتى يكتب عند الله صدِّيقاً. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار،وإن الرجل لَيَكْذِبُ حتى يكتب عند الله كذاباً"[1]، إن البر اسم جامع لكل أنواع الخير، فكأن الصادق يحوز الخيرية، وينال شرف الانتماء إلى خيار هذه الأمة، كما أن لزوم الصدق يقي صاحبه الكثير من المزالق، ويعود على المجتمع بأعظم المنافع.

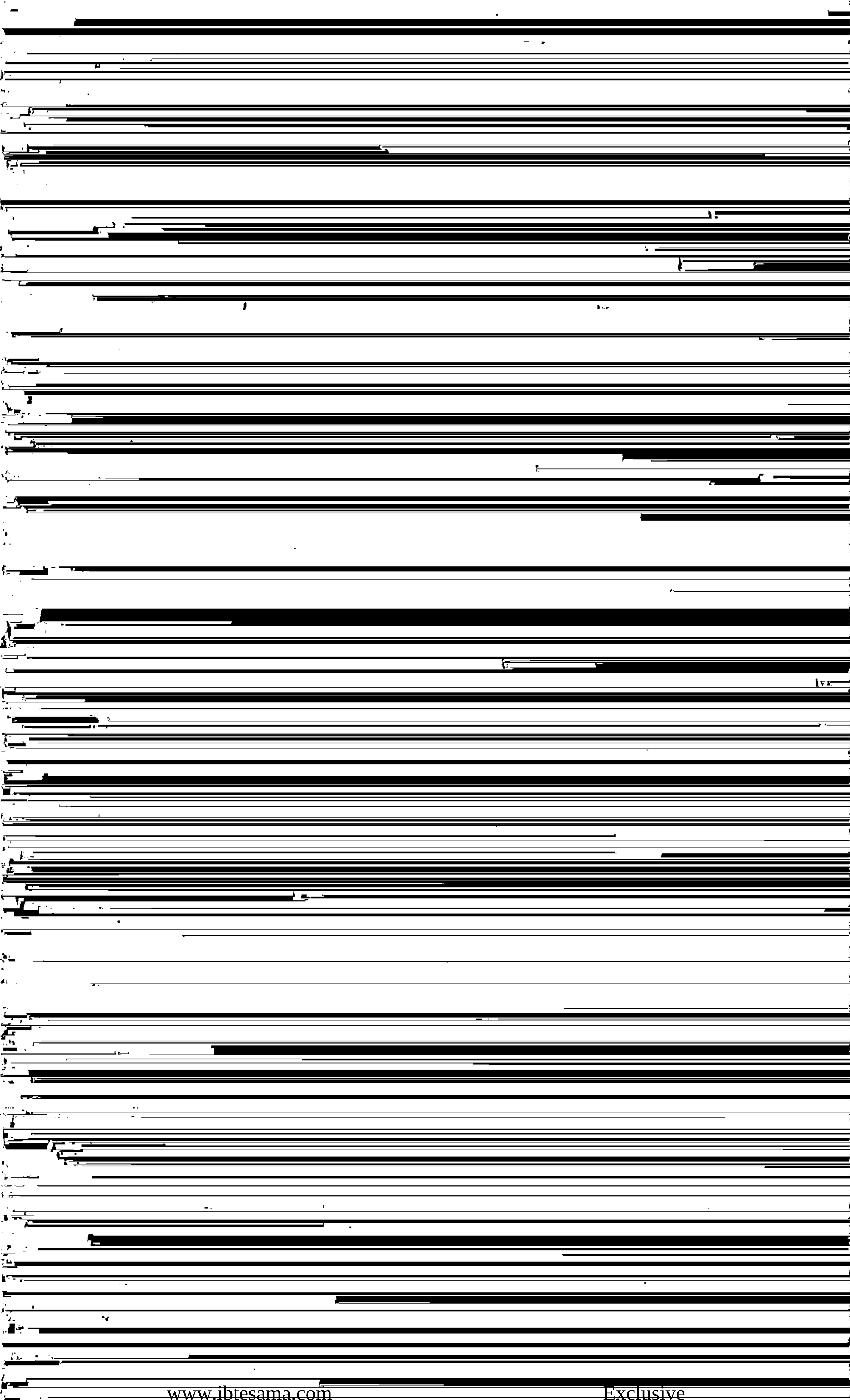
من المهم يا أبنائي وبناتي أن تدركوا أن الكذب فشا في الناس اليوم إلى درجة يمكن معها القول: إنه أصبح أحد أوبئة هذا العصر؛ وذلك بسبب الأموال الهائلة

١. متفق عليه.

التي تنفق على فن الدعاية والإعلان، وهو فن يعتمد تجاوز الحقيقة أساساً في إغراء الناس بالشراء. أيضاً ازداد تفتح الناس على مصالحهم على نحو مَرَضي، ممّا دفعهم إلى الحرص على الحصول على أقصى حد ممكن من المنافع وعن أي طريق كان!.

الصدق يا بناتي وأبنائي يعني الاستقامة واستواء الظاهر والباطن، ولطالما كان الصدق دافعاً إلى تجنب الأخطاء؛ وذلك لأن الصادق يعرف أن كثرة وقوعه في الأخطاء والمخالفات والأمور غير اللائقة ستضطره إلى الوقوع في الكذب؛ بسبب حاجته إلى تسويغ أخطائه والدفاع عن نفسه، ولهذا فإنه يحاول أن يكون مستقيماً. وإن الأمة في حاجة إلى (الصدق)؛ لأنه يشكل الأساس لشيوع (الثقة) في علاقاتنا المختلفة، وإن الثقة أيها الأعزاء والعزيزات تشكّل جزءاً مهماً من رأسمالنا الاجتماعي، وإذا فقدناه، فقد لا نستطيع استعادته إلا عبر عدة قرون، ومن هنا فإن الكذّاب يمارس عملية تخريب واسعة النطاق، ويُلحِق الكثير من الضرر بنفسه أولاً وبمن حوله ثانياً. الصدق يجعلنا نشعر بالأمن والأمان والوضوح والطمأنينة، وقد كان سلف هذه الأمة يهتمون باستقامة اللسان وصدق اللهجة اهتماماً عظيماً لما للكذب والفحش في القول وتضليل الناس من مخاطر جمّة، وممّا يروى في هذا السياق أن عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- طاف بالبيت سبعاً، وصلى ركعتين، فقال له رجل من قريش: ما أسرع ما طفت، وما صليت يا أبا عبد الرحمن؟! فقال ابن عمر: "أنتم أكثر منا طوافاً وصياماً ونحن خير منكم، نحن نلتزم صدق الحديث وأداء الأمانة وإنجاز الوعد".

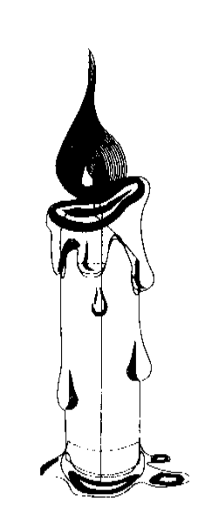
ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟



الشمعة

46

"قاوموا التحيز"



الناس مفطورون على حب أنفسهم والإعجاب بأعمالهم وكل ما يتصل بهم، كما أنهم مفطورون على رعاية مصالحهم وزيادة ما بين أيديهم من مكاسب وخيرات، لكن الناس جميعاً يواجهون مشكلات جمّة ومتنوعة حين يتعاملون مع بعضهم، وحين يصدرون الأحكام على ما يرون من أحداث ومواقف وأشياء ... وإن جزءاً من مشكلاتهم يعود إلى تحكم أهوائهم بهم وضعف مقاومتهم لرغباتهم.

نحن يا أبنائي وبناتي مطالبون من قبل الخالق – جل وعلا- أن نقول الحق ونتحلى بالإنصاف مع القريب والبعيد والصديق والعدو، وأن لا تأخذنا في ذلك لومة لائم. الصواب صواب والخير خير سواء أكان من يفعله صديقاً أو عدواً. الباطل باطل والشر شر والسيِّئ سيّئ سواء أكان من يفعله صديقاً أو عدواً. وهذا لا يكون إلا إذا استخدمنا معايير واحدة ومواصفات واحدة. أنتم جميعاً تعرفون

قول الله – تعالى-: "ويل للمطففين. الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون. ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم. يوم يقوم الناس لرب العالمين"[١]، يذكر أبو هريرة –رضي الله عنه- أن هذه الآيات نزلت في رجل يُعرف بأبي جهينة، كان له صاعان، يأخذ بأحدهما، ويعطي بالآخر. إنها صورة مقززة جداً، فهذا الرجل لديه صاع كبير فإذا اشترى كال به، ولديه صاع صغير، يستخدمه حين يبيع الناس شيئاً ممّا لديه. كثير من الناس يفعلون ذلك في الأشياء المعنوية دون أي شعور بالحرج، وممّا يذكر في هذا السياق أن شاعراً مدح أحد الولاة، فأطنب في مدحه، ورفعه فوق قدره، وبعد مدة غضب منه، فنظم قصيدة في ذمه، وبالغ في ذلك حتى وصفه بأشنع الصفات، فكلّمه بعض الناس في ذلك: كيف تمدح الرجل ذلك المديح، ثم تذمه ذلك الذم؟! فقال الشاعر: رضيت، فقلت خير ما أعلم، وغضبت فقلت أسوأ ما أعلم! إنه أساء حين رضي، ولم يحسن حين غضب؛ لأنه بالغ في كلامه وتجاوز حدود الواقع. إن الله –عز وجل- وجّهنا إلى أن نكون عادلين مع من نحب ومع من نكره، حيث قال سبحانه--: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ [٢]، ويقول في هذا المعنى رسول الله ﷺ "فمن أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته منيته، وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه"[٣]. نحن نحب أن يفهمنا الآخرون بطريقة صحيحة، ونحب أن يلتمسوا لنا

---

١. سورة المطففين: ٦.١.

٢. سورة المائدة: ٨.

٣. رواه مسلم.

الأعذار إذا أخطأنا، كما نحب ألا يصفونا بما ليس فينا من السوء، وألّا يقللوا من شأن مواهبنا ومن شأن الخير الذي لدينا ... نحن نحب كل هذا، فإذا أردنا الفوز برضوان اللّه – تعالى- والنجاة من النار فلنقم – إلى جانب الإيمان والعمل الصالح - بكل ذلك- تجاه الآخرين، فهذا من مقتضى العدل والإنصاف والقيام للّه – تعالى- بالقسط.

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟

إنه يعني الآتي:

1- معاملة الناس بالعدل والإنصاف لاتتم بطريقة آلية وسهلة، وإنما تحتاج إلى خوف اللّه – تعالى- وإلى مجاهدة النفس، والحقيقة أن مجاهدة النفس ستظل حجر الزاوية في كل مراحل الطريق وعلى كل الأصعدة، وأرجو أن يكون هذا واضحاً لديكم.

2- نحن نحتاج حتى نقاوم التحيز إلى أن نكون دقيقين جداً في تعبيراتنا، وإن عصرنا هذا هو عصر الدقة، فمن المهم أن نعرف كيف نستخدم الألفاظ التي نصف بها الأشياء، وذلك مثل الكلمات الآتية: ممتاز، رائع، مذهل، مدهش، جيد جداً، مقبول، حسن، لا بأس به، سيِّئ، مدمر، مخجل، غير مرغوب فيه، كارثة ... إن كل واحد منا مطالب بأن يستخدم كل لفظة للدلالة على حالة بعينها، وأن لا يفرق في الاستخدام بين حالة وأخرى على أساس عاطفي أو مصلحي فكلمة (كارثة) حين تستخدم تدل على شيء مخيف جداً، سواء كان ذلك الشيء من فعل المتكلم أو من فعل أحد خصومه وأعدائه وهكذا ....

3- احذروا يا أبنائي وبناتي إصدار الأحكام على الناس على أساس الظن والتخيل

أو على أساس الحدس الشخصي أو على أساس خبر من هنا أو هناك، فهذه مسؤولية عظيمة، وقد قال –سبحانه-: ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾ [1].

4- اجتنبوا الحكم على نوايا الناس ومقاصدهم، فذاك أمر متروك لله – تعالى- نحن نحكم على الظاهر، والله - سبحانه- يتولى السرائر. نحن نحكم على الأقوال وعلى الأفعال والمواقف، أما الدوافع والأهداف والغايات، وما خفي من الحيثيات، فإن الخوف من الله – تعالى- يُلزِمنا بالكف عن الحديث عنها حتى لا نظلم الناس، ونقول فيهم ما ليس فيهم. لا تنسوا القاعدة الذهبية التي تقول: عامل الناس كما تحب أن يعاملوك، وكما أشار إليه الحديث الشريف الذي ذكرناه قبل قليل.

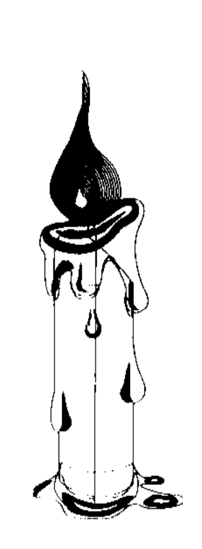
■■■■

١. سورة الأنعام: ١١٦.

الشمعة

47

"السلوك المنطقي"



لدى الشباب والفتيات عواطف نبيلة وصفاء وحسن ظن بالناس وبالمجتمع، ولديهم قيم سامية، يؤمنون بها بقوة، وهذه كلها أشياء جيدة وإيجابية، لكن من المهم يا أبنائي وبناتي أن ندرك أن الأمور لا تسير دائماً كما نشتهي، أو كما نظن، وأن العيش في مجتمع سيعني فوراً أن علينا أن نبدي درجة من التكيف مع ما هو موجود، وأن نفهمه، وأن نؤهل أنفسنا للتعامل معه، وإلا تحولنا إلى أشخاص عاطلين واحتجاجيين وأشخاص غير مفهومين من قبل كبار السن وأصحاب الخبرة والتجربة ......

الواقع أيها الأعزاء والعزيزات خليط من القيم والمصالح، وكل الناس حين يتحركون يتحركون في ظلال قيم يؤمنون بها، ومن أجل مصالح يسعون إلى تحقيقها، وفي الظروف الصعبة قد يتخلى كثير من الناس عن كثير من قيمهم ومبادئهم في

سبيل تحقيق مصالحهم،وهذا مرفوض لكنه موجود، وعليكم أن تتعاملوا معه على أنه حقيقة واقعة، وكل الناس يحاولون -أيضاً- تحقيق مصالحهم مع أدنى حد من الخروج على مبادئهم حتى اللصوص الذين يستهدفون الحصول على المال، لا يقاتلون إذا كان في إمكانهم الحصول عليه من غير إراقة الدماء وهكذا .....

الذي أود منكم أن تفهموه هو أن لكل مجال طبيعته، ولكل علاقة طبيعتها، كما أن لكل مجال وعلاقة ووضعية منطقية خاصة، والمطلوب فهم تلك المنطقية، والتعامل معها بحكمة وفاعلية. لنحاول فهم العالم من خلال فهم ذواتنا، وحين نحاول ذلك فإننا سنجد أن الناس يحملون في قلوبهم اللطف والنبل والرحمة، ويتمتعون بخلق التضحية وقادرون على العطاء المجاني، لكن لكل ذلك في النهاية حدود يتوقف عندها بحسب كل شخص، وسنجد كذلك أنه ليس هناك شخص لا يهتم بمصالحه ومنافعه، لكن تلك المنافع قد تكون دنيوية، وقد تكون أخروية.

والآن سأشرح لكم هذه المعاني عبر العديد من الأمثلة:

1- إذا كان لدى أخيك مصنع وأنت عاطل عن العمل، فقد تستغرب إذا لم يدعك للعمل لديه، وأنت محق في ذلك، لكن لأخيك أيضاً حساباته، فقد يعتقد أن المرتب الذي يستطيع دفعه لك قليل، لا يكفيك؛ بسبب أن المصنع يسجل خسائر مستمرة، ولهذا فإنه لم يدعك للعمل لديه، وقد يكون أخوك ممّن يعتقدون أن توظيف الأقارب، لا يأتي إلا بالمشكلات، ولهذا فإنه يفضل أن يدفع لهم مساعدات على أن يشغلهم عنده، وهكذا .....

هل تريدون فهم هذه المعادلات، إذن ليتصور كل واحد منكم أنه هو صاحب المصنع، وسيجد أنه سيتصرف نحواً من ذلك التصرف.

2- حين يكون لك أخ يعيش معك داخل الأسرة، ويكون ذلك الأخ أعظم براً بأبيك منك، وأسرع استجابة لطلباته، وأكبر قدرة على تدبير شؤون الأسرة، فما المتوقع آنذاك؟ أو ما السلوك المنطقي لأبيك في هذه الحالة؟ السلوك المنطقي هو أنه سيكون أشد تعاطفاً مع أخيك وأكثر قرباً إليه منك، وسيطلب من أخيك أشياء كثيرة، لا يطلبها منك، وسيمنحه الرضا أكثر ممّا يمنحك، وستظل أنت أيضاً ابنه، وسيظل يدعو لك بالخير، لكن منزلتكما في نفسه ستكون مختلفة.

3- حين يعتدي عليك شخص باتهامك بشيء ليس فيك، كأن يتهمك بأنك ذكرته بسوء في مجلس من المجالس، فإن من المنطقي أن تدافع عن نفسك، وترد عليه، لكن ستخالف العرف والمنطق إذا بالغت في الرد، كأن تشتمه، أو تضربه، أو تجعله قضية كبرى في حياتك ... وهذا ما يقع فيه كثير من الناس، فيتحولون من أشخاص معتدى عليهم إلى أشخاص معتدين!

4- إذا أراد الواحد منا –مثلاً- أن يتخصص في التاريخ الأوربي فإن من المنطقي أن يتعلم لغتين أو ثلاثاً من اللغات الأوربية، وإلا لم يكن موقفه هو الموقف المنطقي. وإذا كان الواحد منكم وكيلاً لمنتجات إيطالية، فإن المنطق يقول بأهمية إلمامه بشيء من اللغة الإيطالية، وإذا أراد شخص أن يكتب رواية جيدة، فإن من المنطق أن يقرأ أربعين أو خمسين كتاباً – على الأقل- عن البيئة التي جرت فيها أحداث الرواية، وعاش فيها أشخاصها، وإلا لم يكن سلوكه منطقياً.

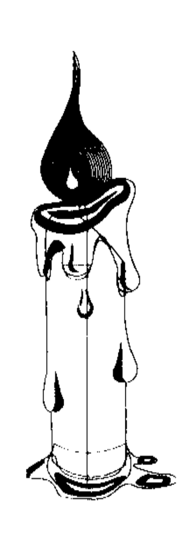
وهكذا فإن من المهم دائماً يا أبنائي وبناتي أن لا نحاول تجاهل المنطق السائد لأننا إذا تجاهلناه سنتصرف تصرفات غير صحيحة؛

والله يتولانا وإياكم بلطفه.

الشمعة

48

"الطموح السامي"



هناك طموح مشترك وعظيم لدى الشباب المسلمين والشابات المسلمات، وهو إقامة أسرة ملتزمة ومتحابة وناجحة، وهذا الطموح السامي نابع من طبيعة تكوين كل من الرجل والمرأة، حيث إننا حين ننظر في ملامح تكوين كل منهما نجد أن الرجل خلق ليعيش في جوار المرأة، كما أن المرأة خلقت لتعيش في جوار الرجل؛ إذ إن كل واحد منهما محتاج حاجة شديدة إلى الآخر، كما أن كلاً منهما يوفر للآخر من الأنس والأمان والرعاية ما يجعل حياته هانئة وسعيدة. أنا أشعر يا بناتي وأبنائي أن الشاب المُعرض عن الزواج أو غير المهتم به، وأن الفتاة التي لا تطمح إلى أن تكون ربة بيت وأماً صالحة .... أن ذلك وتلك سيظلان ناقصي الشخصية، حتى إني أكاد أقول: إن الإنسان يكتسب شخصية جديدة بعد الزواج؛ وذلك بسبب نمو بعض المشاعر والمفاهيم لديه من خلال تغير نظرته للحياة. لاحظوا ما لدى

آبائكم وأمهاتكم من الشعور بالمسؤولية تجاه بعضهم وتجاه الأسرة، ولاحظوا روح التضحية والإيثار والاحتمال وروح المسايرة والتفاوض والتنازل والتكافل والتعاون والتراحم والتعاطف المتبادل ... إن كل هذه المعاني تكون لدى الآباء والأمهات أكثر اكتمالاً وحيوية منها لدى الرجال والنساء غير المتزوجين وغير المتزوجات. وعلينا ألّا ننسى هنا شيئين مهمين جداً، هما:

الأول: تحصين النفس من الانحراف، وإعفاف العين عن النظر إلى الحرام، وكلكم يعرف قوله ﷺ "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة، فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[1]. إن هذه دعوة صريحة إلى الحرص على الزواج وإلى الحرص على التبكير فيه؛ وأي شيء أجمل من أن ينجب الإنسان أولاده وهو شاب، فيستمتع بهم، ويستمتعون به مدة طويلة من الزمان –بإذن الله- كما أن الأبوين الشابين يكونان أقدر على فهم مشاعر أبنائهما واحتياجاتهم وأقدر على تربيتهم وتعليمهم.

الثاني: إشباع عاطفة الأبوة والأمومة التي فطر الله – تعالى- عليها الرجال والنساء، وهذه من بركات الزواج. إن الأطفال هم بهجة الحياة، وبهم ينسأ الله في آمال الإنسان، ويمد في نظره للمستقبل، كما أن الصالحين منهم يضيفون باستمرار الحسنات إلى رصيد آبائهم وأمهاتهم والذين كانوا السبب في وجودهم وصلاحهم.

قد تقولون لي: ما الذي علينا أن نفعله حتى نتهيأ لبناء أسرة متدينة ومتحابة ومتميزة؟

---

١. متفق عليه.

أقول: إن هذا الأمر يتطلب العديد من الأمور، وأهمها ثلاثة:

1- إدخال مسألة الزواج وبناء الأسرة في الخطط المستقبلية للشباب والفتيات، وهذا يعني أن عليهم وهم يفكرون بدراستهم أن يتساءلوا: متى سيكون الزواج؟ وهل يمكن التوفيق بين الدراسة والزواج؟ وكيف يتم ذلك؟ أو أن الزواج يكون بعد الانتهاء من الدراسة؟ وهذه المسألة مهمة جداً بالنسبة إلى الفتيات، حيث إن الواحدة منهن قد تختار تخصصاً يحتاج الفراغ منه إلى وقت طويل، وقد تلتحق بالدراسات العليا ولا تفرغ منها إلا وقد تجاوزت الثلاثين، وهذا يجعل الخيارات أمامها محدودة، ممّا يضطرها إلى أن توافق على زوج ليس هو الزوج الذي تستحقه. وحسب خبرتي الخاصة فإنه إذا توفر المال فإن الزواج لا يعيق عن التحصيل العلمي الجيد، ولا سيما إذا تم تنظيم الوقت على نحو حسن. وينبغي على الفتاة إذا حصلت على الثانوية أن تعطي الأولوية للزواج عند عدم إمكانية الجمع بين الدراسة والزواج، وسيكون في إمكانها أن تدرس منتسبة أو في جامعة مفتوحة ....

2- ليكن الدين والخلق أهم ما يبحث عنه الشاب، وأهم ما تبحث عنه الفتاة؛ لأنهما يشكلان الضامن الأساسي لاستمرار الحياة الزوجية. بعض الشباب والفتيات يؤدون الفرائض، ولا يرتكبون الكبائر، لكن لديهم طباع رديئة وأخلاق صعبة، وبعضهم لديه أخلاق سهلة، وصفات محببة، لكنهم مفرطون في الواجبات ومتساهلون تجاه بعض المحرمات، وهؤلاء وأولئك، ليسوا ممّن ينبغي أن يُسعى إليهم؛ وذلك بسبب عدم توفر الدين أو الخلق. وإن كثيراً من المشكلات التي تعاني منها الأسر اليوم يعود إلى ضعف في الدين أو ضعف في الأخلاق.....

3- أنتم تلاحظون كثرة الخلافات الزوجية وكثرة وقائع الطلاق في هذه الأيام؛ وذلك بسبب الثقافة التي تنشرها العولمة والتي تؤكد على الاستقلال الشخصي ، وتروج للأنانية، والتمتع والتسلية واللهو ، وهذه المعاني مضادة لمقتضيات التآلف والتراحم بين الزوجين، ومضادة لأسس الاستمرار في حياة زوجية هانئة، ولهذا فإن على كل واحد من أبنائي وبناتي أن يحاول امتلاك الثقافة التي تساعد على أن يكون عضواً ممتازاً في أسرة ممتازة، وذلك من خلال معرفة آداب الحياة الأسرية وواجباتها ومعرفة شروط الوئام الأسري، كما أن عليه أن يتهيأ نفسياً وثقافياً لتربية الأولاد والبنات وينبغي أن يكون هذا قبل الزواج بمدة كافية.

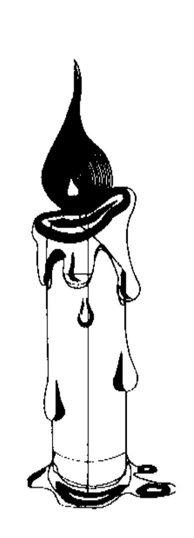
4- إن أقدر إنسان على إسعاد إنسان آخر وإشقائه هو الزوج و الزوجة ،ومن ثم فلابد من معرفة مكونات الحياة الأسرية الناجحة والامتثال لمتطلباتها .إن الزواج المبكر من غير استعداد حسن قد يؤدي إلى طلاق مبكر، وهذا ما تشير إليه الدراسات، حيث إن معظم حالات الطلاق يقع في السنوات الأربع الأولى من بداية الحياة الزوجية.



الشمعة

49

"النظر إلى الأمام"



يشعر الناس في أحيان كثيرة بالارتباك تجاه التعامل مع الأزمنة الثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل ، فمنهم من يريد للمستقبل أن يكون صورة من الماضي ،وإذا لم يكن كذلك ،فإنه يشعر بالأسى ،ومنهم من يغرق في الحاضر :متعه وملذاته وهمومه ومشكلاته وليس لديه وقت ولا طاقة للنظر في ماضٍ ولا مستقبل .ومن الناس من ضيّع الحاضر طلباً لمستقبل لا يعرف كيف ومتى يصل إليه ؟!

قد يقول أبنائي وبناتي : كيف نهتم بالمستقبل ؟ ولماذا ؟ وكيف نوازن بينه وبين الحاضر ؟

الجواب على هذه التساؤت يكمن في المفردات الخمس الآتية:

1- إن الله – تعالى- أوصانا أن ننظر إلى الأمام، وأن نرقب الغد حين قال: ﴿ يا أيها الذين آمنو اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما

تعملون ﴾ [1]. والحقيقة أن المسلم الملتزم مستقبلي من الطراز الرفيع؛ لأنه يضبط كل حركته وفق ما هو مطلوب للنجاة في الآخرة. هذا هو الأصل، وعلينا أن نتشبث به. المستقبل الحقيقي أيها الأعزاء والعزيزات ليس في الدنيا، وإنما في الآخرة؛ لأنه المستقبل الأبدي الذي يتلاشى الزمان معه، وهو متجدد إلى ما لا نهاية، وهذه الحقيقة يجب أن تظل متألقة في أذهانكم. اعقدوا العزم عند كل مشرق شمس أن يكون يومكم في سبيل الله، ومن أجل مرضاته، وبهذا تكونون عاملين من أجل المستقبل.

2- تريدون مستقبلاً مشرقاً؟ المستقبل المشرق له طريق واحد، هو أن تحسنوا القرارات التي تتخذونها اليوم، وأن تجعلوا حركتكم اليومية في الاتجاه الصحيح. الحديث عن مستقبل زاهر من غير واقع جيد وناهض عبارة عن خداع للنفس، وهو وهم كبير يقع فيه كثير من الناس. هؤلاء الناس كثيراً ما يكون مستقبلهم عبارة عن علامة استهزاء بماضيهم، إنهم كلما نضجوا وتحسن وعيهم، ينظرون إلى أوضاعهم وتطلعاتهم السابقة باستخفاف، وكل ذلك بسبب عدم الاهتمام بالحاضر على النحو المطلوب.

3- حاولوا يا أعزائي وعزيزاتي أن تمتلكوا أعلى درجة من وضوح الرؤية: حددوا أهدافكم بدقة، واجتهدوا في معرفة الطرق الموصلة إليها، ولتكن تلك الأهداف وسائل لبلوغ الهدف الأسمى، وهو الفوز برضوان الله – تعالى-. من غير تحديد للأهداف الجادة والواضحة، فإن أوقاتكم ستضيع سدى، كما هو شأن كثير من شباب الأمة، كما أن الطاقات الهائلة التي تمتلكونها، ستظل كامنة وهاجعة، وستجدون أن الحديث عن (تطوير الذات) شيء لا معنى له.إن الاستفادة من

١. سورة الحشر: ١٨.

الوقت والعمل بأقصى طاقة من الأمور الشاقة على النفس، فإذا لم يكن لدينا هدف عزيز، نؤمن به بقوة، فإننا لن نضحي، ولن نحرم أنفسنا، ولن نضغط عليها. أضيفوا إلى هذه أننا من غير أهداف واضحة سنجد أنفسنا منجذبين إلى أداء الأشياء السهلة –وأحياناً التافهة- عوضاً عن الاشتغال بالأمور المهمة والعظيمة.

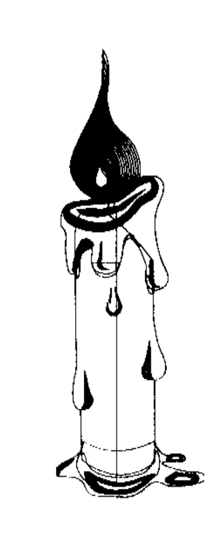
4- بعض الناس يا أبنائي وبناتي يعيش حاضره، وهو في حالة ذهول عن نفسه: إنه لا يستمتع بالأشياء التي بين يديه، وكلما توفر معه مبلغ من المال وضعه في مشروع جديد مع التقتير على نفسه وعلى أسرته، وكل ذلك من أجل المستقبل، وحين يترك مرحلة الشباب خلف ظهره، سيشعر بأن قدرته على الاستمتاع بما جمعه من مال، وبما لديه من متاع قد تراجعت إلى أبعد الحدود، وهذا الفريق ينطبق عليه تحذير من قال: "لا تكن مثل من يقضي الشطر الأول من حياته في اشتهاء الشطر الثاني، ويقضي الشطر الثاني في التأسف على الشطر الأول"!. عيشوا كل أيامكم في طاعة الله، ورفّهوا عن أنفسكم في إطار المباح، ولا تضيّعوا حاضراً من أجل مستقبل، ولا مستقبلاً من أجل حاضر، وفي التوسط والاعتدال يكمن الكثير من الأشياء الجميلة.

5- هناك خطورة في أن يكون نظرنا إلى المستقبل واهتمامنا به عبارة عن هموم جاثمة على صدورنا ومخاوف تجتاحنا، وخواطر سوداء تزعجنا، وتقلقنا، وهذا يحدث فعلاً كلما سيطر علينا الكسل والغموض والفوضى. فلنحارب هذا الثالوث النكد، حتى يتحول المستقبل إلى مصدر للأمل وحافز على العمل، وإلى مرشد نحو الطريق القويم.

الشمعة

50

"انشروا البشر والبشرى"



لم نكن في يوم من الأيام أحوج إلى الاستبشار والتبشير منا في هذه الأيام، حيث إن مجالسنا تعج بالنقد لكل شيء بعلم وبغير علم، وقد صرنا متمرسين بـ (جلد الذات) إلى حد الأزمة، مع أن ما في أيدي الناس من الخير أكثر بكثير مما كان في أيدي آبائهم وأجدادهم. الكل يشكو ويتأفف، وكأن الحياة صارت خالية من الخير والسرور والأمان حتى إن بعض أعراسنا صار مجالاً لاستعراض الانكسارات، وحتى الأناشيد التي ينشدها بعض الشباب في المناسبات السعيدة صارت تنضح باليأس والحزن والأسى! أرجو منكم يا أبنائي وبناتي أن تتذكروا النصوص التي تدل على رحمة الله – تعالى- بعباده، وتدل على عظمة نعمة الإيمان، وتلك التي تدل على جزيل ثواب الله – تعالى- لعباده المؤمنين، وتذكروا كذلك الأخبار الصحيحة الدالة على الجنوح إلى الرفق والتيسير ورفع الحرج حتى تهزموا بها مشاعر البؤس

واليأس والهم والغم، ومن تلك النصوص الأحاديث الشريفة الآتية:

- "إن الله رضي لهذه الأمة اليسر، وكره لها العسر" [١].
- " إن الله لم يبعثني معنّتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً" [٢].
- "إن ربكم حيي كريم يستحي أن يبسط العبد يديه إليه، فيردها صفراً" [٣].
- "إن الله يحب الرفق في الأمر كله" [٤].
- "يسروا، ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا" [٥].
- "بشروا هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والنصر والتمكين في الأرض" [٦].
- "الكلمة الطيبة صدقة" [٧].

إن نعمة الإيمان والهداية –والتي هي طريق الفوز بالسعادة الأبدية- تستحق دائماً أن نستبشر ونتظر الكرامة من الله – تعالى- وإني أشعر أن بعض النصوص يهدف إلى كسر (إلفنا) لهذه النعمة إلى درجة أنها لم تعد تثير في نفوسنا مشاعر الشكر والامتنان لله – تعالى- ومشاعر الرضا والطمأنينة؛ ومن تلك النصوص قوله ﷺ : "يعجب ربك من راعي غنم في رأس شظية بجبل يؤذن للصلاة، ويصلي، فيقول الله –عز وجل- "انظروا إلى عبدي يُؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني، قد غفرت لعبدي، وأدخلته الجنة"[٨]. إذا لم نستحضر هذه النصوص وهذه المعاني،

١. حديث صحيح أخرجه الطبراني في الكبير.

٢. رواه مسلم.

٣. حديث حسن رواه أبو داود.

٤. رواه البخاري.

٥. متفق عليه.

٦. حديث صحيح رواه أحمد وغيره.

٧. متفق عليه.

٨. حديث صحيح رواه أبو داود وغيره.

وقمنا بمقارنة أحوالنا بأحوال بعض الأمم الأخرى في مجالات الصناعة والتقنية والرفاهية والتنظيم، فإن النتيجة الحتمية هي ما نلاحظه اليوم من تأفف وتذمر من كل شيء، وهذا ينطوي على نوع من الجحود لما أنعم الله به علينا من الإيمان واليقين، وقد حرمت من هذا أمم كثيرة، ولا أدري ماذا وجد من فقد الإيمان، وجهل خالقه، وأضاع أهدافه الكبرى؟!.

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى أبنائي وبناتي؟

إنه يعني الآتي:

1- تعلموا كيف تدخلون السرور والطمأنينة على قلوب كل من يحتك بكم، وحاولوا أن يشعر الناس من حولكم أن الحياة تكون جميلة حين يكونون قريبين منكم، واعملوا على بلوغ ذلك بالطرفة الذكية المهذبة والكلمة الطيبة والمجاملة الصادقة واكتشاف ميزات زملائكم وأصدقائكم، وباركوا لهم النجاحات التي يحققونها، واحتفلوا بهم ومعهم.

2- إذا تحدث الناس عن الخسائر، فذكّروهم بالأرباح، وإذا تحدثوا عن الهزائم، فحدثوهم عن الانتصارات، وإذا تحدثوا عن الطرق المسدودة، فحدثوهم عن الطرق المفتوحة. حاولوا دائماً أن تروا الوجه المشرق للأشياء، وأن تروا النصف المملوء من الكأس.

3- احتفظوا ببراءة الأطفال،وتعلموا منهم الفرح الذي يغمر النفس من خلال الحصول على قطعة من الحلوى أو ثوب جديد ....

4- استمتعوا بما في أيديكم، واشكروا الله عليه، ولا تنشغلوا بما وهبه الله – تعالى- لغيركم، فتتجرعوا غصص الغيرة والحسد، وتجحدوا نعمة الله عليكم.

5- استخدموا الكلمات الجميلة والرقيقة والمتفائلة في التعبير عن مشاعركم واوضاعكم وأشيائكم، حيث إن للكلمات تأثيراً كبيراً في نفس قائلها ونفس سامعها، وأكثروا من الثناء على الله – تعالى- فهو أهل كل فضل ومولى كل نعمة. وولي كل معروف.



"الخاتمة"

الحمد لله على ما هدى، وأعان، وله المنة في الأولى والأخرى، وهو الرحمن الرحيم.

وبعد:

فهذه خمسون شمعة، هي عبارة عن خمسين رسالة أوجهها إلى أبنائي الشباب والفتيان وبناتي الشابات والفتيات،والهدف من هذه الشمعات (الرسائل) نقل خبرة جيلي إلى الجيل الجديد، حيث إن من الواضح أن في حياتنا أشياء كثيرة لا تنضج إلا مع الزمن، وإني كنت وأنا أكتب هذه الشمعات أتذكر نفسي أيام الصبا وكيف كنت أفكر وأحلم، وكيف كنت أرى الأشياء وأتفاعل معها، وقد تبين لي فعلاً أن عليّ أن أضحك المرة تلو المرة من رؤى وأحداث ومواقف واهتمامات وردود أفعال لابست حياتي على نحو من الأنحاء!. وكنت قد ذكرت في الشمعة الأولى أننا سنغادر هذه الحياة قبل أن نفك كل طلاسمها، وقبل أن نمتلك كل مفاتيح

صناديقها، لكن مع ذلك علينا أن نحاول الوصول إلى أوضح رؤية ممكنة، وهذا الكتاب يشكل محاولة صغيرة لتفتيح وعي أبنائي وبناتي على الحياة ولفت انتباههم إلى بعض المفاهيم المهمة. ومن الملاحظ أنني ركزت كثيراً على مسألة إدراك الشباب والشابات لذواتهم ومسألة فهم طبائع الأشياء وسنن الله – تعالى- في الخلق، كما ركزت على بث الروح الإيجابية وبث الاهتمام بالأشياء العملية مهما كانت صغيرة، وذلك من أجل مساعدة أبنائي وبناتي على التكيف مع معطيات الحياة المعاصرة ومن أجل تشجيع ما لديهم من ميول إيجابية للعطاء والتميز.

إني لم أقل كل ما أريد قوله، وكان في إمكاني أن أقول جزءاً ممّا قلته، لكن أعتقد أن الخمسين شمعة التي أضأتها كافية لتشكيل رؤية لا بأس بها للحياة والأحياء والذات والآخر؛ والله هو المعين والمعبود المحمود في كل حين، وربما تسنح لي الفرصة في المستقبل لأقدم لأبنائي وبناتي شمعات أخرى إضافية من أجل تحقيق مزيد من التواصل بين الأجيال وتحقيق مزيد من الفهم لواجبات العصر.

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

■■■■



مسرد


تم بحمد الله

إلى أبنائي وبناتي

50 شمعة لإضاءة دروبكم

د. عبدالكريم بكار

سلسلة إصدارات
الإسلام اليوم
الإنتاج والنشر

الأصدار
25

الطبعة الاولى 1428



مؤسسة الإسلام اليوم
المملكة العربية السعودية
الرياض
ص.ب. 28577
الرمز : 11447
هاتف: 012081920
فاكس: 012081902
جدة:
هاتف: 026751133
هاتف: 026751144
بريدة:
هاتف: 063826466
فاكس: 063826053
info@islamtoday.net
www.islamtoday.net



إن الناظر في هذه الرسالة، سيجد أن الشموع التي أشعلناها موزعة على مجالات عديدة، لكن يجمع بينها استهداف الارتقاء بشخصيات أبنائنا وبناتنا، وتقديم العون لهم على سلوك مسالك الرشاد، والتفوق في الدراسة والعمل وكل مجالات الحياة. ومن المهم أن أشير هنا إلى أن الشموع التي أضأناها شموع تتصف بالعموم، حيث إنها مما يعني الشباب والشابات على حد سواء، وحين يكون هناك شيء خاص بالفتيات أو الفتيان، فإني سأوضحه، لكن هذا سيكون أشبه بالنادر.

شيء آخر أحب أن أوضحه هو أن الشريحة المستهدفة والموجه إليها الخطاب هم طلاب المرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية، ولا يعني هذا أن غيرهم لن يستفيد مما قلته، حيث إني أعتقد أن النابهين من طلاب المرحلة المتوسطة يمكنهم استيعاب الكثير مما ذكرناه، كما أن خريجي الجامعات سيجدون في بعضه ما هو جديد ومفيد.



التوزيع بالقاهرة

العربية للتوزيع

خلف الجامع الأزهر

درب الأتراك - القاهرة ت: ٢٥١٢٠٦٢١




حصريات


مجلة
الابتسامة